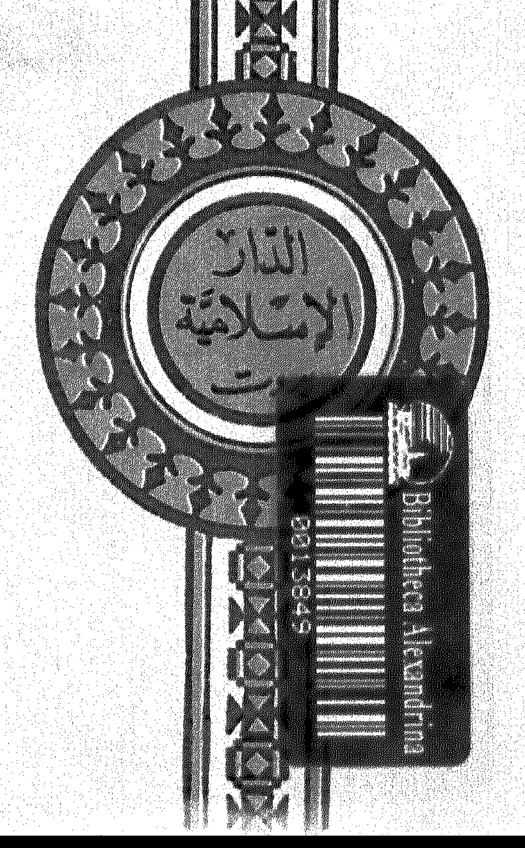
الإسراء والمعراج

نظرة عامة

دراسة وتحليل

علي الغسيلي العاملي





علي العسيلي العاملي



نظرة عامة

دراسة وتحليل

الدار الإسلامية

الطّبعة الثانية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

صدق الله العظيم

مـدخل

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه التابعين له بإخلاص إلى يوم الدين وبعد :

إنه ليسعدني ـ عزيزي القارىء ـ أَنْ ابدأ معك رحلتي في التأليف بموضوع قديم وجديد .

أما أنه قديم : لأن المصادر والمراجع اخبرتنا عنه ، حديثاً ، وقصة ، ورواية ، على لسان الرسول الصادق الأمين (ص) ، فآمنا به وبها ، لإيماننا المطلق بالمعجزة كداعم لمهمة التبليغ . .

وجديد : لأنَّ بعض الكتّاب المغرضين والمؤرخين في هذا العصر ، أهملوا ، بقصد او بغيره ، ذكر أهل البيت(ع) وخاصة أمير المؤمنين ، ووصي حبيب رب العالمين ، أعني : سيدي ، ومولاي ، وإمامي علي بن أبي طالب (ع)، وما كان

له من ذكر عظيم الأهمية في رحلات الرسول السماوية - كما سترى - لذلك :

قرأت بعض الكتب التي تتناول موضوع الإسراء والمعراج إشباعاً لرغبتي الجامحة وعشقي الكامل للمطالعة والكتاب ، ولقد فوجئت بما جاء بين صفحات الكتب التي طالعت ، خاصة عن مشاهد رسول الله (ص) في السماء :

فتارة ، لم يُسْرِ الله عز وجل برسوله إلاَّ لِيُرِيَهُ الجنة وما فيها من المؤمنين ، وطوراً لم يُسْر سبحانه بنبيه إلاَّ لِيُرِيَه النار وما فيها من المعذبين ، وحيناً لِيُرِيَه الأنبياء ، وأحياناً ليريه نَفْسه فتعالى الله عما يصفون ، وأخرى ، لم يُسْر الله تعالى برسوله بل كانت رؤيا أو حلماً ، أو غيبوبة ، أو التباساً إلى آخر ما قيل . . .[1] فوافقت مع البعض فيما كتب وروى : « إن أمر الإسراء والمعراج أوسع وأعم من أن يكون حدثاً تاريخياً ، انقضى وانتهى وذلك أنه رسم لحياة المسلم ، وفيه من العظات والعبر ما لا يكاد يحيط به الانسان . . . »[2]

---

(١) - راجع حضارة العرب/غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ص : ١٤٤ - الاسلام منهج حياة/د. فيليب حتّي ترجمة د. عمر فروخ ص : ٨١- حياة محمد واشنجتون أرفنج ترجمة د. علي حسين الخربوطلي ص : ١١١- الإسراء والمعراج/إبن عباس . خلاصة تاريخ العرب لسيديو ص : ٤٦ القرآن لبلاشير ترجمة رضا سعادة ص : ١٥٤

(٢) الإسراء والمعراج/د. عبد الحليم محمود . ط مصر .

وبين موافقتي لقائل ومعارضتي بل ونفيي بالبراهين ـ كما سترى ـ لما قال اخر ، وجدتني وقد تجاذبتني بنات الحقيقة ، فشمرت عن ساعد الجد ، وأخذت أهبة الإستعداد ـ رغم ما لفني من خوف ـ لخوض لجة هذا البحر العميق ، علّني أقدم لك ـ مع عميق اعتذاري عن التقصير ـ هدية فيها درر الحقيقة لا أصدافها ، وجوهر الحق لا البرق الخلب ، فما أحوجنا في هذا الزمان إلى الصدق والصادقين .

وبذلك أكون قد أشبعت نهمي لحب الحقيقة والتزمت بالطاعة لله سبحانه . . .

ولا أدعي أنني قد سبقت الأوائل بما كشفت عن مخبات ، ولا سبقت أقران العصر من الأدباء والفقهاء في موضوع تجاذبته أفكارهم زمناً وربما مرت بعض هفوات والكمال لله وحده . . . آسف لعدم التنبه إليها .

فالله أسأل أن تمتد لهذا الكتاب الأعين وأن تنفتح له الأذان وأن يشرح الله له وبه الصدور وأن يهدي به وله ، إنه سبحانه قريب مجيب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ،

علي العسيلي العاملي

٦ شوال ١٤٠١ هـ .
بيروت ٦/٨/١٩٨١ م .

الفصل الأول

المعراج :- إمكانية المعراج

* إمكانية المعراج :

يستبعد في العقل صعود الجسد الكثيف من الأرض إلى ما فوق السماء الدنيا ، وكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق السماء الدنيا إلى الأرض ؛ فإن كان القول بمعراج محمد (ص) في الليلة الواحدة ممتنعاً في العقول ، كان القول بنزول جبرائيل من فوق السماء إلى مكة أو غيرها ممتنعاً .

ولو حكمنا بهذا الامتناع كان طعناً في نبوة جميع الأنبياء (ع). والقول في ثبوت المعراج فرع على جواز أصل النبوة .

إن أكثر أرباب الملل والنّحل يسلِّمون بوجود إبليس ، وأنه هو الذي يتولى إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم ـ بالحركة طبعاً ـ فلما سلَّموا جواز مثل هذه الحركة السريعة في حق إبليس ، فيجب أن يسلِّموا جوازها في أكابر الأنبياء ،

وكان ذلك أولى : ﴿ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الْخَنَّاس ، الَّذي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾[1]

وجاء في القرآن الكريم : أنَّ الرياح كانت تسير بسليمان (ع) إلى المواضع البعيدة في الأوقات القليلة . والحس يدل أن الرياح تنتقل عند شدة هبوبها ، من مكان إلى مكان ، في غاية البعد ، في اللحظة الواحدة ؛ وذلك يدل على كون مثل هذه الحركة في نفسها ممكنة : ﴿ ولِسُليمَان الرِيح غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ . . . ﴾[2]

إنَّ ما دلَّ عليه القرآن من إحضار عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر يدل على جواز ذلك ﴿قال الّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرّاً قال هذا مِنْ فضْلِ رَبِّي . . . ﴾[3]

إن بعض الناس يقول : أن الحيوان إنما يبصر المبصرات « بخروج الشعاع من البصر واتصاله بالمبصر »[4] فعلى قول هؤلاء ، انتقل شعاع العين من أبصارنا في تلك اللحظة

(١) ـ الناس : ٤ : ٥ .
(٢) ـ سبأ : ١٢
(٣) النمل : ٤٠
(٤) ـ مصابيح الأنوار / السيد شبر ١/ ٢٠٠ ـ مجمع البيان / الطبرسي ١٠/ ٣٩٨

اللطيفة ؛ وذلك يدل على أن الحركة الواقعة على هذا الحد من السرعة من الممكنات لا من الممتنعات .

ولما كانت الحركة ممكنة الوجود في نفسها وجب أنْ لا يكون حصولها في جسد محمد(ص) ممتنعاً . وأن الأجسام متماثلة في تمام ماهيتها ؛ فلما صح حصول مثل هذه الحركة في حق بعض الأجسام ، وجب إمكان حصولها في سائر الأجسام .

فيلزم من مجموع هذه المقدمات أنَّ القول بثبوت المعراج أمر ممكن الوجود في نفسه ، وأقصى ما في القول ، أنه ينبغي التعجب من حصوله ، إلا أن هذا التعجب غير مخصوص ، بل حاصل في جميع المعجزات . فإنقلاب العصا ثعباناً يبتلع سبعين ألف حبل من الحبال والعصي ثم تعود في الحال عصاً صغيرة كما كانت ، أمر عجيب وكذا سائر المعجزات .

لقد تكلم المفسرون ـ ومنهم الإمام الرازي في تفسيرة الكبير ـ عن هذه الناحية في المسألة وأرى معهم : أن المنكرين لذلك إنما أنكروه بتوهم انه ممتنع عقلاً ، والممتنع عقلاً لا تناله يد القدرة ، لا لعجز في القدرة بل لعجز في المقدور ، فإنه يستحيل اجتماع المتناقضين وارتفاع الضدين ، وأفعال الله تعالى مقصورة على الأمور الممكنة في أنفسها لا الممتنعة ،

والمعجزات إنماهي من قسم الممكنة عقلاً المستحيلة عادة ، أما المستحيلات العقلية فإنها لا تقع من الله تعالى شأنه البتة .

وإن كثيراً من الناس يجهلون ، فلا يفهمون الفرق بين المستحيل عقلاً ، وبين المستحيل عادة الممكن عقلاً ، فيعطون لكليهما حكماً واحداً . ولقد قال الحكماء : كل ما قرع سمعك فضعه في بقعة الإمكان حتى يقوم عليه واضح البرهان . وإن هؤلاء جروا على خلاف ما تقتضيه الحكمة حينما سمعوه فجعلوه في بقعة الامتناع لا في بقعة الإمكان .

ويدلك على أن المنكرين في مسألة المعراج إنما أنكروه من هذه الجهة أي : من جهة تخيلهم أنه من الممتنعات المستحيلة عقلاً : ارتداد البعض من المسلمين حينما سمعوا من محمد (ص) القول والاخبار به[1] . نظراً لقصور أفهامهم عن أن هذا ليس من المستحيلات العقلية .

ومنه تفهم أن أخبار محمد (ص) بالعروج إنما كان بجسده الشريف وإلّا فأي داع للإنكار والارتداد لو كان بروحه أو برؤ يا رآها . إن الصعود بروحه أو برؤ يا رآها ، لا فضل فيه ولا إعجاز . فسقط بهذا إنكار من ينكر ذلك بادعاء أنه أمر ممتنع مستحيل عقلاً بما قررناه من عدم استحالة هذه السرعة .

---

(١) راجع الخصائص الكبرى للسيوطي ١ : ١٧٩ ـ تاريخ ابن كثير ٣ : ١١٣

وزاده الزمان إيضاحاً بما تراه اليوم من سرعة نقل الكلام بالهاتف والمذياع واللاسلكي من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب بتلك السرعة التي ينتقل إليك الكلام بها من فم صاحبك الذي بجانبك إلى أذنك . وإذا قدر الله سبحانه على إجراء الهواء والصوت والريح بهذه السرعة يقدر على إجراء غيره ونقله . فلم يبق بهذا شك ، بأنه أمر ممكن في نفسه وإذا كان ذلك أمراً ممكناً في نفسه ولكنه ممتنع في العادة فمن شأن الله تعالى أن يفعل ما كان كذلك على أيدي أنبيائه ومن يشاء من رسله إن الله على كل شيء قدير .

يتساءلون وأنت أطهر هيكل
بالروح أم بالهيكل الإسراءُ
بهما سموت مطهرين كلاهما
نور وروحانية وبهاءُ[1]

(١) ـ أحمد شوقي

الفصل الثاني

هل سبق العروج إلى السماء لغير محمد (ص) من الأنبياء

* هل سبق العروج إلى السماء لغير محمد (ص) من الأنبياء ؟

المعروف أنه لم يسبق العروج إلى السماء قبل محمد (ص) إلا لاثنين : إدريس وعيسى عليهما السلام . وذلك قوله تعالى في إدريس (ع) : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾[1] وقوله في عيسى (ع) : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ـ﴾[2] على اختلاف في إدريس(ع) : فقالوا : « أنه لبث عليه السلام في الأرض (٨٢) سنة ثم رفعه الله إليه »[3] « وروي عن ابن عباس ومجاهد : رفع إدريس عليه السلام كما رفع عيسى وهو حي لم يمت . وقال آخرون : أنه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وروي ذلك عن أبي جعفر(ع) وروي أنَّ الله عز وجل أوحى إلى ادريس (ع) ونبأه ودلّه على عبادته ومن آمن معه فلا يزالون

---

(١) ـ مريم : ٥٧

(٢) ـ النساء : ١٥٨

(٣) ـ النبوة والأنبياء للصابوني : ٢٣٦

يعبدون الله عز وجل لا يشركون به شيئاً حتى رفع الله عز وجل إدريس (ع) إلى السماء وانقرض من تابعه على دينه إلاّ قليلاً . . . »[1]

وفي تفسير علي بن ابراهيم عن ابن أبي عمير عمن حدثه عن أبي عبد الله (ع) قال : « إنَّ الله تعالى غضب على ملك من الملائكة فقطع جناحه فألقاه في جزيرة من جزائر البحر . فبقي ما شاء الله في ذلك البحر فلما بعث الله إدريس(ع) جاء ذلك الملك إليه ، فقال : « يا نبي الله ! أدع الله أن يرضى عني ويردّ عليَّ جناحي » قال : « نعم ». فدعى ادريس ربه فرد عليه جناحه ورضي عنه . قال الملك لإدريس : « ألك حاجة ؟» قال : « نعم أحب أن ترفعني إلى السماء الرابعة ». فرفعه إلى السماء الرابعة فإذا ملك الموت جالس يحرك رأسه تعجباً . فسلم إدريس (ع) على ملك الموت وقال له : « ما لك تحرك رأسك ؟» قال : « إن رب العزة أمرني أن أقبض روحك بين الرابعة والخامسة » ثم قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة . وهو قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مكانا عليّا ـ ﴾[2]

وعن أمير المؤمنين (ع) أن إدريس (ع) رفعه الله مكاناً علياً وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته .

---

(١) ـ راجع قصص الانبياء للجزائري ص : ٧١

(٢) ـ وردت القصة في الكافي للكليني ٣ : ٢٥٧ باختلاف يسير .

وقد أورد السيد عبد الصاحب الحسني العاملي في كتابه (الأنبياء قصصهم وحياتهم) عن النبي إدريس (ع) قائلاً : « وأن قوله تعالى في حقه ـ يعني إدريس ـ (ورفعناه مكاناً علياً) أي رفيع الشأن برسالات الله تعالى ، وقيل أنه قبض بين السماء الرابعة والخامسة كما هو المنسوب إلى الباقر (ع) وقيل غير ذلك . . . » أ هـ[1]

وقد جاء في الصحيحين ـ كما سيأتي ـ في حديث الإسراء أن رسول الله (ص) مرّ به في السماء الرابعة .

وفي عرائس المجالس : « بعثه الله ـ يعني إدريس (ع) ـ إلى ولد قابيل ثم رفعه إلى السماء . . . فهو حي هناك فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة . . . »[2]

وقال الشيخ الطوسي في تفسيره : « إدريس كان نبياً معظماً مبجلاً مؤيداً بالمعجزات الباهرة ثم أخبر تعالى أنه رفعه مكاناً علياً . قال أنس بن مالك رفعه الله إلى السماء الرابعة وروي ذلك عن النبي (ص) وبه قال كعب ومجاهد ، وأبو سعيد الخدري ، وقال ابن عباس والضحاك : رفعه الله إلى السماء السادسة . . . »[3]

(١) ـ الأنبياء حياتهم وقصصهم ص : ٦٥
(٢) ـ قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ص : ٤٢
(٣) ـ التبيان ٧ : ١٣٤

وأما عند أهل الكتاب فلا يوجد شيء سوى قولهم : « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه »[1]

ومهما أراد الله تعالى بإدريس من رفعة المكان أو الذكر فإن ثبوت العروج به حياً إلى السماء الرابعة أمر واقع . وظاهر القرآن واتفاق جل المفسرين على القول بالعروج بإدريس إلى السماء يدل على ذلك والمخالف لذلك مخالف لظاهر القرآن ولما أجمع عليه أئمة التفسير .

أما عيسى (ع) فلا يختلف في العروج به إلى السماء حياً أحد من المسلمين .

---

(١) ـ ٥ : ٢٤ تكوين

الفصل الثالث

كم مرة عرج برسول الله (ص) الى السماء

* كم مرة عرج برسول الله (ص) إلى السماء ؟

روى الصدوق في المجالس بالاسناد إلى علي بن أبي حمزة قال : سأل أبو بصير أبا عبد الله (ع) وأنا حاضر : كم عرج برسول الله (ص) مرة ؟ فقال : مرتين . .[1]

وفي رواية أخرى عن ابن الوليد بالإسناد إلى أبي الصباح المزني عن أبي عبد الله (ع) أيضاً أنه قال : عرج بالنبي (ص) إلى السماء أكثر من مائة وعشرين مرة[2] .

وذهب الحاتمي الصوفي كما في السيرة الحلبية إلى أنَّ « الإسراء وقع له (ص) ثلاثين مرة فجعل كل حديث إسراء »[3] .

---

(١) ـ الجواهر السنية في الأحاديث القدسية للحر العاملي ص : ٢١٣

(٢) الصراط المستقيم للبياضي ٢ : ٤٠

(٣) ـ السيرة الحلبية ١ : ٣٦٥

فلماذا لا تكون المرتان في مكة والبواقي في المدينة ؟ أو المرتان إلى العرش والبواقي إلى السماء ؟ أو المرتان ما أخبر بما جرى فيها ، والبواقي لم يخبر بها ؟؟؟

* دلالة الأحاديث على تعدد العروج

إن من سبر غور الأحاديث والأخبار الواردة في قضية المعراج يتبين له تعدد العروج بمحمد (ص) وذلك من جهات :

١ ـ دلالتها على تعدد مكان العروج

٢ ـ دلالتها على تعدد زمانه

٣ ـ دلالتها على اختلاف مركوبه .

٤ ـ دلالة بعضها على أنه (ص) رجع من بيت المقدس ، وأخرى على أنه صعد منه ، وثالثة أنه صعد من المسجد الحرام إلى السماء .

١ ـ دلالة الأحاديث على تعدد مكان العروج :

إنَّ القرآن الكريم وبعض الأحاديث يدلان على أنه عرج بمحمد (ص) من المسجد الحرام ، قال الله تعالى : ﴿ سُبْحان الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحرام إلى المَسْجد الأقصا . . . ﴾[1] وفي ذلك يقول البوصيري في مباركته والتي مطلعها :

---

(١) ـ الاسراء : ١

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

يقول في موضوع الإسراء :

سريت من حرم ليلاً إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى إلى أن نلت مرتبة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بهم
في موكب كنت فيه صاحب العلم[1]

وقال الطبرسي : « صلى المغرب في المسجد الحرام ثم أسري به في ليلته . . . »[2]. وقال آخرون بل أسري به من المسجد الحرام[3]

وبعضها يدل على أنه عُرِجَ به من الأبطح[4]. روي عن

---

(١) ـ المدائح النبوية لزكي مبارك ص : ١٩١
(٢) ـ مجمع البيان للطبرسي ٦ : ٣٩٥
(٣) ـ تفسير الطبري ١٥ : ٥
(٤) ـ الابطح : وهو المحصّب وهو خيف بن كنانة سمي ابطح لأن آدم (ع) بطح فيه : ياقوت

الصادق (ع) عن رسول الله (ص) أنه قال : « بينا أنا راقد بالأبطح وعلي عن يميني وجعفر عن يساري وحمزة بين يدي ، وإذا أنا بحفيف أجنحة الملائكة . قال : ثم أركبه جبريل البراق وأسرى به » وردت في سعد السعود لابن طاوس

وفي رواية أخرى عنه (ع) يقول : أتى جبريل رسول الله (ص) وهو بالأبطح ، بالبراق (ووصفه)، قال رفَّ به من بيت المقدس إلى السماء .

وبعضها يدل على أنه عرج به من الحِجْر[1] في رواية عن رسول الله (ص) أنه قال : « بينما أنا في الحِجْر إذ أتاني جبرائيل فهمزني برجلي فاستيقظت فلم أر شيئاً . ثم أتاني الثانية فهمزني برجلي فاستيقظت فأخذ بضبعي ، فوضعني في شيء كوكر الطير ، فما أطرفت ببصري طرفة ، فرجعت إلي وأنا في مكان . فقال أتدري أين أنت ؟ فقلت لا يا جبريل ، فقال هذا بيت المقدس . . . »

وبعضها يدل على أنه عرج به (ص) من دار أم هانيء بنت أبي طالب ، أخت علي (ع) وزوجة هبيرة بن أبي وهيب المخزومي[2] وذلك أنه كان نائماً تلك الليلة في بيتها وهو قول

---

(١) ـ الخصائص الكبرى للسيوطي ١:١٦٥

(٢) ـ تفسير الطبري ١٥ :٣

أكثر المفسرين ومنهم السدي والواقدي بناء منهم على أن المراد بالمسجد الحرام هنا مكة ومكة والحرم كلّه مسجد .

وبعضها يدل على أنه عرج به من شعب أبي طالب[1]

وبعضها يدل على أنه عرج به من منزله حيث فرج سقف بيته وهو بمكة[2] .

والأخذ بها جميعاً يقضي بتكرر عروجه وتعدده وأنه من أماكن مختلفة ، وهو واضح لا لبس فيه .

٢ ـ دلالتها على تعدد زمانه :

في بعض الروايات أنّ الرسول (ص) عُرج به في أول بعثته أول ما فرضت عليه الصلاة[3]:

قال الإمام أبو عبد الله الصادق (ع) في جواب من سأله : « لأي علة يجهر في صلاة الفجر وصلاة المغرب والعشاء الأخرة وسائر الصلوات مثل الظهر والعصر لا يجهر فيها ؟ ولأي علة صار التسبيح في الركعتين الأخيرتين أفضل من القرآن ؟». قال (ع) : « لأن النبي (ص) لما أسري به إلى السماء كان أول صلاة فرضها الله عليه صلاة الظهر يوم الجمعة

(١) ـ طبقات ابن سعد ١ : ٢١٤

(٢) ـ الخصائص الكبرى للسيوطي ١ : ١٦٦

(٣) ـ علل الشرائع للشيخ الصدوق ص : ٣٢٢

فأضاف الله عز وجل إليه الملائكة تصلي خلفه وأمر الله عز وجل نبيه أن يجهر بالقراءة ليبين لهم فضله ، ثم افترض عليه العصر ولم يضف إليه أحداً من الملائكة فأمره أن يخفي القراءة لأنه لم يكن وراءه أحد ثم افترض عليه المغرب ، ثم أضاف إليه الملائكة فأمره بالاجهار ، وكذلك العشاء الآخرة . فلما كان قرب الفجر افترض الله عز وجل عليه الفجر وأمره بالإجهار ليبين للناس فضله كما بين للملائكة . فلهذه العلة يجهر فيها » .

فقلت : « لأي شيء صار التسبيح في الأخيرتين أفضل من القراءة ؟» قال (ع) :«لأنه لما كان في الأخيرتين ذكر ما يظهر من عظمة الله عز وجل فدهش وقال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر » . فلذلك العلة صار التسبيح أفضل من القراءة » .

وأنت ترى منه أنه كان العروج عند ابتداء فرض الصلاة فهو في أول البعثة لما هو معلوم من أنه بُعث يوم الإثنين وصلى علي (ع) خلفه يوم الثلاثاء ، وأنه صلى بالملائكة نهاراً وصلاة العشاءين .

والحال أن في بعض الأحاديث أنه أسري به ليلاً . أما

الآية فإنها صريحة بذلك : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ﴾ .

وأما الحديث فمنه ما روي عن كتاب الخرايج عن أبي جعفر قال : إن رسول الله (ص) قال : « لما أسري بي نزل جبرائيل (ع) بالبراق وهو أصغر من البغل وأكبر من الحمار ، مضطرب الأذنين عيناه في حوافره ، خطوه مد بصره ، له جناحان يحْفزانه من خلفه ، عليه سرج من ياقوت فيه من كل لون أهدب العرف الأيمن ، فوقف على باب خديجة ، ودخل على رسول الله فمرح البراق ، فخرج إليه جبرائيل ، فقال له أسكن ! فإنما يركبك خير البشر أحب خلق الله إليه فسكن . فخرج رسول الله (ص) فركب ليلاً وتوجه نحو بيت المقدس ، فاستقبل شيخاً فقال : هذا أبوك ابراهيم فثنى رجله وهم بالنزول . فقال جبرائيل كما أنت فجمع ما شاء الله من أنبيائه ببيت المقدس فأذن جبرائيل فتقدم رسول الله (ص) فصلى بهم ». وفي ذلك يقول شوقي :

صلى وراءك منهم كل ذي خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم

وأنت ترى من هذا أن هذا الإسراء هو غير الأول ، فإنه كان ليلا وأنه كان بعد فرض الصلاة وتعليم الأذان .

وفي بعضها أنه عُرج به عند حمل خديجة (ع) بفاطمة (ع) : فعن تفسير القمي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) قال : كان رسول الله (ص) يكثر تقبيل فاطمة (ع) فأنكرت عائشة ذلك فقال رسول الله (ص) يا عائشة إني لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأدناني جبرائيل من شجرة طوبى وناولني ثمراً من ثمارها ، فأكلته ، فحول الله ذلك ماء في ظهري . فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فما قبلتها فقط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها . . . الخ والحديث مشهور في معظم المصادر التي بين أيدينا .

ولقد كان حمل خديجة (ع) بفاطمة (ع) سنة خمس بعد البعثة تقريباً ، وذلك أن علياً (ع) تزوج بفاطمة في السنة الثانية من الهجرة وكان عمرها تسعاً فكانت عند الهجرة عمرها سبعاً ورسول الله (ص) أقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة .

وبه يظهر لك أن هذا العروج كان غير ما قبله .

وفي بعضها أنه عُرج به (ص) قبيل انقضاء نبوته وذلك ما يرويه القمي في تفسيره بالإسناد إلى أبي جعفر(ع) وفيه وقد بلغ ما فوق سدرة المنتهى وقال الله له : « يا محمد ! إنه قد انقضت نبوتك ، وانقطع أكلك فمن وصيك ؟ فقلت : يا

رب ! إني قد بلوت خلقك فلم أر من خلقك أحداً أشد حباً لي من علي بن أبي طالب قال ولي يا محمد »[1]

وفي بعضها أنه أسري به بعد ثلاث سنين من مبعثه وذلك ما يرويه صاحب الخرايج عن علي (ع) وأنه أسري به إلى بيت المقدس وعرج به منه إلى السماء ليلة المعراج وأنه رجع في ليلته وأصبح في مكة ، وحدث قريشاً بخبر معراجه .

وفي بعضها عن السدي والواقدي كما جاء في خصائص السيوطي الكبرى : أنه أسري به قبل الهجرة لستة أشهر من مكة في عشر من شهر رمضان ليلة السبت بعد العتمة من دار أم هانىء بنت أبي طالب .

وفي بعضها عن ابن عباس أيضاً أنه أسري به ليلة الاثنين في شهر ربيع الأول بعد النبوة بسنتين .

وقال السيد المدرسي نقلاً عن مصادره :

« أن المعراج وقع قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً

إنه كان بعد ثلاث سنوات فقط من البعثة .

أنه كان قيل الهجرة بستة أشهر

أنه كان قبل الهجرة بسنة وشهرين

أنه كان بعد النبوة بسنتين وضعف رواية تقول أن المعراج

(١) ـ ورد الحديث في امالي الصدوق : ٣٨٦

تم في السابع والعشرين من رجب ، في السنة الثانية بعد الهجرة ، ولا أدري لماذا ؟ وما هي الموانع التي اعتمدها[1]

٣ ـ تعدد مركوبه وحامله وموصله

وفيها عدة روايات منها من قصص الأنبياء عن أبي بصير عن الإمام الصادق (ع) وفيها أنه أتى جبرائيل بالبراق .

ومنها أتاه جبرائيل بالبراق حتى انتهى إلى المسجد الأقصى ، فصلى فيه بأهله ثم وضع له منه سلم إلى السماء الدنيا وأن جبرائيل رقي به إليها .

وفي أخرى : « فإذا معراج إلى السماء »

ومنها ما عن علل الشرائع بالإسناد إلى الصادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) لما أسري بي إلى السماء حملني جبرائيل على كتفه الأيمن .

وفي رواية أخرى عن الصادق (ع) يقول فيها : إن جبرائيل احتمل رسول الله (ص)

ومنها ما عن تفسير العياشي عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : إن رسول الله (ص) قال: لما أسري به رفعه جبرائيل باصبعيه وضعها في ظهره . . .

---

(١) ـ راجع المعراج للسيد هادي المدرسي ص : ٢٩

ومنها ما عن كتاب سعد السعود لابن طاوس بالإسناد إلى رسول الله (ص) : أنه كان بالحجر فأتاه جبرائيل ، فوضعه في شيء كوكر الطير . . الخ والحديث ورد في الخصائص الكبرى للسيوطي .

ومنها ما رواه السيوطي في خصائصه من حديث طويل لرسول الله (ص) عن الإسراء . . . ثم أخذ بيدي - يعني جبرائيل - فصعد بي إلى السماء .

وأنت ترى من هذه الروايات الدالة على تعدد مركوب النبي (ص) وحامله وموصله تعدد العروج به مؤيداً ما مر معك من الروايات المصرحة بذلك . ومنها ما ورد في السيرة الحلبية وعلل الشرائع[1] ولذلك قال الديار بكري : « والصحيح أن الإسراء كان في اليقظة بجسده وأنه مرات متعددة . . »[2] وأيده الحافظ رجب البرسي « ركب البراق

---

(١) - مصابيح الانوار للسيد شُبّر ٢ : ٨٠ - الخصائص الكبرى للسيوطي ص ١٥٧:١ حياة الحيوان الكبرى للدميري ١١٧:١ - السيرة الحلبية ٣٦٥:١.

الكامل لابن الاثير ٥٢:٢ مراجع اعتمدتها للبحث عن تعدد مركوبه وحامله وموصله (ص) . والبداية والنهاية لابن كثير ٣: ١١٠ و١١١

(٢) - تاريخ الخميس ٣٠٧:١

واخترق السبع الطباق في أقل من لمح البصر[1]

فلا مانع لدينا أن يكون عروجه مرة أو مرات على البراق وأخرى على كتف جبرائيل وثالثة على المعراج ورابعة على سلم وخامسة مرفوعاً بإصبعي جبرائيل حسبما يريد الله ويشاء .

(١) ـ مشارق أنوار اليقين ص : ٧٠

الفصل الرابع

محمد (ص) ومشاهداته في إسرائه وعروجه

* محمد (ص) ومشاهداته في إسرائه وعروجه :

قلنا في ما سبق : أن عروج محمد (ص) وإسرائه كان بجسده وروحه كما يدل عليه ظاهر قوله سبحانه ﴿ سبحان الذي اسرى بعبده ﴾. والظاهر منه أن المقصود ذات رسول الله (ص) المشتملة على الروح والجسد كما يظهر من مضمون القول في جميع مواضع استعماله القرآني مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحى إلى عَبْدِه ما أَوْحى . . ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذي يَنْهَى ، عَبْدَاً إذا صلَّى ﴾ ومثل قوله ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ الله . . . ﴾.

ومن الواضح أن أخبار المعراج في تعدد الروايات بأحاديثه الكاشفة عن مشاهدات محمد(ص) ذاهباً وعند وصوله ، وراجعاً إلى قومه ، على أقسام :

١ ـ ما يقطع على صحته لتواتر الأخبار به وإحاطة العلم بصحته .

٢ ـ ما ورد في ذلك مما تجوِّزه العقول ، ولا تأباه الأصول ، فنحن نجوزه ثم نقطع على أنَّ ذلك كان في يقظته دون منامه .

٣ ـ ما يكون ظاهره مخالفاً لبعض الأصول ، إلا أنه يمكن تأويله على وجه يوافق المعقول ، فالأولى أن نؤوله على ما يطابق الحق والدليل .

٤ ـ ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله .

فالأول المقطوع به هو أنه أسري به على الجملة .

والثاني منه ما روي أنه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش ، والسدرة المنتهى ، والجنة ، والنار ، ونحو ذلك .

والثالث فنحو ما روي أنه رأى قوماً في الجنة يتنعمون فيها ، فيحمل على أنه رأى صفتهم وأسماءهم .

والرابع فنحو ما روي أنه (ص) كلَّم الله سبحانه كلامَ مكلِّمٍ لمخاطب مُشاهَد ورآه وقعد معه على سريره ونحو ذلك لما يوجب ظاهره التشبيه ، والله سبحانه يتقدس عن ذلك . وكذلك ما روي أنه شُق بطنه لأنه (ص) كان طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب ، وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء ؟؟!

ومنها ما ذكره المستشرق درمنجم في قصة المعراج التي ذهب إليها محمد حسنين هيكل في كتابه (حياة محمد) : أنه أتى بها مستخلصة من مختلف كتب السيرة إذ يقول فيها ، « ثم أتي بالمعراج فارتكز على صخرة يعقوب ، وعليه صعد سراعاً إلى السماوات . وكانت السماء الأولى من فضة خالصة علقت إليها النجوم بسلاسل من ذهب . . . »[1]

ولست أريد أن أقول أنه كذب بنقله عن السيرة ما ليس فيها ، ولكن أقول : ليس كل ما في السيرة صدقاً وحقاً ، ولقد كذب على النبي (ص) في حياته ، حتى قام على المنبر خطيباً يقول : « من كذب عليَّ متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار »[2] وجعل الأحاديث معروضة على القرآن فما وافق القرآن من أحاديثه قُبل ، وما خالفت ضرب بها عرض الجدار ، وكذلك العقل فإنه معروض عليه أيضاً ، فما قام البرهان العقلي على امتناعه واشتماله لا يقبل الحديث بوقوعه .

والقول بأن النجوم معلقة في السماء بسلاسل من ذهب قول هو إلى السخافة والخرافة أقرب منه إلى الواقع فكان الواجب الإعراض عنه ، ولكن كيف يعرض عنه من يقول به

---

(١) ـ حياة محمد ط : ١ ص ١٥٤

(٢) ـ الكافي للكليني : ١ : ٦٢

وهو يتخذ من لا يعترف بإمارة ، ووصاية ، وولاية ، وخلافة أمير المؤمنين على المؤمنين إماماً !!!

بل والأعجب والأغرب كيف صدق المؤرخ الفذ (واشنجتون ارفنج) حادثة شق الصدر المزعومة ، وهو الذي يكاد يكون أول من ترجم حياة محمد (ص) ترجمة صادقة وفية بين التي كتبها مؤرخون مستشرقون ليسوا بالعرب أو بالمسلمين[1] ؟

* أول الغيث رحلة إلى السماء :

من جملة الأخبار الواردة في قصة المعراج ما روي أنه(ص) قال : « أتاني جبرائيل (ع) وأنا بمكة فقال : : قم يا محمد فقمت معه وخرجت إلى الباب فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل واسرافيل . فأتى جبرائيل (ع) بالبراق وكان فوق الحمار ودون البغل ، خده كخد الانسان ، وذنبه كذنب البقر ، وعرفه كعرف الفرس ، وقوائمه كقوائم الإبل عليه رحل من الجنة ، وله جناحان من فخذيه ، خطوه ، منتهى طرفه[2] فقال اركب فركبت ومضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس إذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند

(١) راجع حياة محمد ص : ١٦ و١٠٧ .

(٢) قرأنا روايات عديدة بغير هذا الوصف . فهل هناك أكثر من براق ؟!

رب العزة ، وصليت في بيت المقدس ، وفي بعضها نشر لي ابراهيم في رهط من الأنبياء ثم وصف موسى وعيسى ثم أخذ جبرائيل عليه السلام بيدي إلى الصخرة ، فأقعدني عليها فإذا معراج إلى السماء لم أر مثلها حسنا وجمالاً . فصعدت إلى السماء الدنيا ، ورأيت عجائبها ، وملكوتها وملائكتها يسلمون عليّ . ثم صعد بي جبرائيل إلى السماء الثانية ، فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف . ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فرأيت فيها إدريس . ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون . ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض وفيها الكروبيون[1] ثم صعد بي إلى السابعة فأبصرت فيها خلقاً وملائكة وفي حديث أبي هريرة رأيت في السماء السادسة موسى ورأيت في السماء السابعة ابراهيم . قال ثم جاوزناها متصاعدين إلى أعلى عليين ووصف ذلك إلى أن قال : ثم كلمني ربي وكلمته ، ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدرة المنتهى ثم رجعت إلى مكة فلما أصبحت حدثت به الناس . . . وقال مطعم بن عدي : أتزعم انك سرت مسيرة شهرين في ساعة ؟! أشهد أنك كاذب قالوا : ثم قالت

(١) الكروبيون عليهم السلام : وهم العاكفون في حظيرة القدس لا التفات لهم إلى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال حضرة الربوبية ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون

قريش أخبرنا عما رأيت ؟ فقال مررت بعير بني فلان وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قعب مملوء ماء ، فشربت الماء ثم غطيته كما كان فاسألوهم : هل وجدوا الماء في القدح ؟ قالوا هذه آية واحدة . قال : ومررت بعير بني فلان فنفرت بكرة فلان فانكسرت يدها فاسألوهم عن ذلك ؟ فقالوا هذه اية أخرى قالوا فأخبرنا عن عيرنا ؟! قال : مررت بها بالتنعيم[1] وبين لهم أحمالها وهيئاتها وقال تقدمها جمل أورق عليه قرارتان محيطتان ، ويطلع عليكم عند طلوع الشمس . قالوا : هذه اية أخرى . ثم خرجوا يشتدون نحو التيه ، وهم يقولون : لقد قضى محمد بيننا وبينه قضاء مبيناً . وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه . فقال قائل والله إن الشمس قد طلعت . وقال آخر والله هذه الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورق فبهتوا ولم يؤمنوا»[2] .

* صلاة محمد (ص) في الطور :

عند جبل طور سيناء حيث كلم الله موسى وقفت البراق بمحمد (ص) وقال له جبريل : « صلّ . فصلى . فقال :

---

(١) ـ التنعيم : موضع على فرسخين من مكة ومنه يحرم المكيون بالعمرة . ياقوت

(٢) ـ مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٣٩٦/٦

تدري أين صليت ؟ قال : لا ، فقال صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى تكليما »[1]

* تلبيته عند مسجد الشجرة :

ولما صار بحذاء مسجد الشجرة نودي : يا محمد . قال : لبيك . قال : « ألم يجدك يتيماً فأويت ، ووجدك ضالاً فهديت ؟» قال : النبي (ص) « إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » ولذلك صار ميقات الإحرام لأهل المدينة ولمن مر عليها للحج من مسجدالشجرة[2]

* ـ همسة : الذاهب إلى القدس من مكة ، كيف يمر على جبل طور سيناء ومسجد الشجرة بقرب المدينة المنورة؟ فالأخذ بهذين الحديثين يقضي بأن أحد الإسراءين غير الآخر .

* صلاته في مسجد الكوفة

ولما حاذى رسول الله (ص) مسجد الكوفة في إسرائه إلى السماء قال له جبريل : يا محمد إن هذا مسجد أبيك آدم (ع) ومصلى الأنبياء فانزل فصل فيه ، فنزل فصلى فيه ، ثم إن جبريل عرج به إلى السماء[3]

---

(١) ـ الخصائص الكبرى للسيوطي ١ : ١٥٤

(٢) ـ أمالي الشيخ الصدوق ص : ٤٣٣

(٣) ـ راجع امالي الصدوق ٣١٥ ـ فضل الكوفة واهلها لمحمد الحسني الكوفي ص : ٣٢ .

وهو ظاهر الدلالة على أنه غير الإسراء عرج به من بيت المقدس ، وأن مصلى رسول الله (ص) لم يزل معروفاً في مسجد الكوفة اليوم . سمي محراب المعراج أو مقام محمد (ص) ويقع وسط المسجد وحوله دكة كبيرة للصلاة .

* صلاته في بيت لحم

ولما وصل إلى بيت لحم وهو بناحية بيت المقدس وهو الموضع الذي ولد فيه المسيح عيسى (ع) قال له جبريل : إنزل فصل . فنزل وصلى ، وقال له جبريل : تدري أين صليت ؟ قال : لا . قال : صليت في بيت لحم[1] .

* صلاته بالأنبياء في بيت المقدس وفي السماء :

ثم إنه سار إلى بيت المقدس وجمع له الأنبياء هناك فصلى بهم . وليُعلم أن صلاة محمد (ص) بالأنبياء في بيت المقدس وفي السماء جاءت مكررة الذكر في الأحاديث ، وذكرها المؤرخون في كتبهم مرسلة ومسندة .

ومن ذكرها القرماني في (أخبار الدول) في باب ذكر

= الكافي للكليني : ٣ : ٤٩١ - عمدة الزائر ص : ١١٣ . مفاتيح الجنان المعرب للقمي ٣٨٦ من لا يحضره الفقية ١ : ٧٦ - المحاسن للبرقي ص : ٤٣

(١) - الخصائص الكبرى للسيوطي ١٥٨/١

محمد (ص) عند ذكر معاجزه حيث عد منها الإسراء من مكة ليلاً إلى بيت المقدس إلى السماوات العلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى ووطؤه مكاناً ما وطأه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، وإحياء الأنبياء له وصلاته إماماً لهم وبالملائكة .

والحلبي في سيرته : حيث قال النبي (ص) : لما وصلت بيت المقدس ، وصليت فيه ركعتين ـ أي إماماً بالأنبياء والملائكة ـ[1]

والسيد أحمد زيني دحلان في سيرته حيث يقول (ص) « أني أسري بي ، قالوا ! ـ يعني قريشاً ـ : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس فنشر لي رهط من الأنبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم . . . »[2]

وممن ذكرها الكليني في كتابه الكافي بالإسناد إلى الإمام

---

(١) ـ السيرة الحلبية ١ : ٣٨٩

(٢) ـ السيرة الدحلانية ، على هامش السيرة الحلبية ص : ٢٧٩ . وفي هذه الرواية همسة : إن عيسى لم يمت والنشر هو الاحياء بعد الموت فما معنى نشره ؟ أقول : يمكن أن يكون ذلك على سبيل التغليب ، والمقصود من نشر الانبياء الاتيان بهم بأجسادهم الدنيوية على خلاف ما كانوا عليه في البرزخ من الاجسام المثالية النورانية والله العالم . ولما تكرر لفظ (النشر) اقتضى التنويه .

أبي جعفر الباقر (ع) حيث يقول : فكان من الايات التي أراها الله تبارك وتعالى محمداً حيث أسرى به إلى البيت المقدس أن حشد الله عز ذكره الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم أمر جبرائيل فأذن شفعا وأقام شفعاً وقال في أذانه « حي على خير العمل » ثم تقدم محمد (ص) فصلى بالقوم »[1] .

والسيد ابن طاوس في كتابه سعد السعود بالإسناد إلى رسول الله (ص) حيث يقول من حديث طويل فقال : (يعني جبرائيل) : هذا بيت المقدس بيت الله الأقصى ، فيه المحشر والمنشر ، ثم قام جبرائيل فوضع سبابته اليمنى في أذنه فأذن مثنى مثنى يقول في آخرها « حي على خير العمل » مثنى مثنى ، حتى إذا قضى أذانه أقام الصلاة مثنى مثنى ، وقال في اخرها قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة فبرق نور من السماء ، ففتحت به قبور الأنبياء فأقبلوا من كل أوب يلبون دعوة جبرائيل ، فوافى أربعة آلاف وأربعماية نبي ، وأربعة عشر نبياً فأخذوا مصافهم ، ولا أشك أن جبرائيل سيتقدمنا ، فلما استووا على مصافهم ، أخذ جبرائيل بضبعي، ثم قال لي : « يا محمد تقدم فصل بإخوانك ، فالخاتم أولى من المختوم ».

والقمي في تفسيرة بالإسناد إلى الإمام أبي عبد الله

---

(١) ـ الكافي ٨ : ١٠٤

الصادق (ع) حيث يقول عن رسول الله (ص) : « فدخلت المسجد ومعي جبرائيل فوجدنا إبراهيم وموسى وعيسى فيمن شاء الله من أنبياء الله فقد جمعوا لي وأقمت الصلاة ، ولا أشك إلا وجبرائيل سيتقدمنا . فلما استووا أخذ جبرائيل بعضدي فقدمني وأممتهم ولا فخر . . . » .

والقرطبي في تفسيره عن ابن عباس (رض) قال : « لما أسري برسول الله (ص) إلى بيت المقدس جمع الله له الأنبياء ، آدم فمن دونه ، وكانوا سبع صفوف ثلاثة صفوف من الأنبياء والمرسلين وأربع من سائر الأنبياء . . . »[1]

وابن الجوزي في كتابه (فضائل القدس) من حديث طويل عن الإسراء . قال : ثم دخل جبرائيل أمامه فأذن جبرائيل ونزلت الملائكة من السماء ، وحشر الله له من المرسلين ثم أقام الصلاة ، وصلى النبي (ص) بالملائكة والمرسلين . . . »[2]

والشيخ الطوسي في تفسيرة للآية ﴿ واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا . . ﴾[3] قال : « إنما يريد الأنبياء الذين جمعوا ليلة الإسراء . . . »[4]

(١) ـ السيرة الحلبية ١ : ٣٧٤

(٢) ـ فضائل القدس لابن الجوزي ص : ١١٩

(٣) ـ الزخرف : ٤٥

(٤) ـ التبيان : ٩ : ٢٠٣

وابن سعد في طبقاته الكبرى وفي معرض حديثه عن الإسراء بالأسانيد المعتبرة بعد حديث طويل ، : « خرج معي جبريل ـ الحديث عن رسول الله (ص) ـ لا يفوتني ولا أفوته حتى انتهى بي إلى بيت المقدس ، فانتهى البراق إلى موقفه الذي كان يقف ، فربطه فيه ، وكان مربط الأنبياء قبل رسول الله (ص) قال : ورأيت الأنبياء جمعوا لي فرأيت ابراهيم وموسى وعيسى فظننت أنه لا بد من أن يكون لهم إمام فقدمني جبريل حتى صليت بين أيديهم . . . »[١]

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة من حديث للرسول (ص) يقول : « وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلي ، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي وإذا ابراهيم قائم يصلي ، أشبه الناس به صاحبكم ، يعني نفسه ، فحانت الصلاة فأممتهم . . . الخ »[٢]

وعن الحافظ بن كثير : صلى بهم في بيت المقدس قبل العروج وبعده . . . »[٣] فإن في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع لدينا منه .

والشعراء أشاروا إلى ذلك منهم البوصيري :

---

(١) ـ طبقات ابن سعد ١ : ٢١٤
(٢) ـ نفس المصدر ١ : ٢١٥
(٣) ـ البداية والنهاية ٣ : ١١٠ و١١١

وقـــدمتـــك جمـيــع الأنـبـيــاء بهـــا
والـرسـل تقـديم مخـدوم عـلى خـدم

وأمير الشعراء أحمد شوقي :

صـــلى وراءك منهم كـــل ذي خـــطر
ومـن يـفـــز بـحـبـيـب الله يـــأتمـــم

والفرزدق في مدح زين العابدين (ع) :

من جـــده دان فضـــل الأنبيـــاء لـــه
وفـــضـــل أمتـــه دانـــت لـــه الأمـــم

وعائشة الباعونية قالت :

ولـــه كـــم مـعـــجـــزات ظـــهـــرت
وتـــبـــدى نـــورهـــا في كـــل حـــي

* صلاته بأهل السماء في السماء :

يحدثنا صاحب معاني الأخبار بالإسناد إلى محمد بن الحنفية حيث يقول : « لما أسري بالنبي (ص) إلى السماء وانتهى إلى السماء السادسة نزل ملك من السماء السابعة لم ينزل قبل ذلك اليوم قط . فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، فقال الله جل جلاله . أنا كذلك فقال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقال الله عز وجل : أنا كذلك لا إله إلا أنا ، فقال أشهد أن محمدا

رسـول الله . قـال الله جـل جـلالـه : « عبـدي وأميني عـلى خلقي ، اصطفيته على عبادي ، برسالاتي . ثم قـال : « حي عـلى الصلاة » قـال الله جل جـلاله : « فـرضتها عـلى عبادي وجعلتها لي دينا » . ثم قـال : « حي على الفـلاح » . قال الله جـل جلالـه : « أفلح من مشى إليها ، وواظب عليهـا ابتغاء وجهي » . ثم قـال : « حي على خـير العمل » قـال الله جـل جلاله : « هي أفضل الأعمال وأزكاها عندي » ثم قال : « قد قـامت الصلاة » فتقـدم النبي (ص) فأمّ أهـل السـماء . فمن يومئذٍ شرف النبي (ص)[1] .

والمجلسي في سادس البحار بالإسناد إلى الإمام الرضا (ع) عن آبائه عن أمير المؤمنين عليّ (ع) عن رسول الله (ص) الذي يقول فيه : وأنه لما عرج بي إلى السماء ، أذن جبرائيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى ، ثم قال لي تقدم يا محمد . فقلت له : يا جبرائيل ! أتقدم عليك ؟ فقال « نعم لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه على ملائكته أجمعين وفضلك خاصة » . فتقدمت فصليت بهم ولا فخر .

ويحدثنا صاحب علل الشرائع ، بالاسناد إلى ابن عباس عن رسول الله (ص) حيث يقول : « إنه لما عرج بي إلى السماء

(١) معاني الأخبار للصدوق ص : ٤٢

الرابعة أذن جبرائيل وأقام ميكائيل ثم قيل لي : « أذن يا محمد » . فقلت : « أتقدم وأنت بحضرتي يا جبرائيل ؟! قال : « نعم إن الله عز وجل فضل انبياءه المرسلين على ملائكته المقربين ، وفضلت أنت خاصة » فدنوت فصليت بأهل السماء الرابعة . . . »[1]

ويحدثنا صاحب العلل أيضاً عن الإمام الصادق(ع) في حديث طويل ، يذكر فيه الأذان ، وأن المؤذن كان جبرائيل (ع) وأنه لما انتهى إلى السماء الرابعة توضأ من ماء يسيل من ساق العرش الأيمن ، وأنه صلى هناك ، ثم التفت ، فإذا بصفوف من الملائكة والنبيين والمرسلين . . . »[2] وقد ورد الحديث في السيرة الحلبية والخصائص الكبرى باختلاف يسير .

* همسة حول غائية المعراج والصلاة بالأنبياء وإحيائهم له

من المعلوم أن العروج لم يكن مرة واحدة كما أسلفنا والصلاة لا تنحصر في الواجب ، فإنها خير موضوع ، وأنها من أفضل القربات إلى الله ، وأنها قربان كل تقي ، وأن الأماكن التي أمر الرسول أن يصلي بها أماكن يحب الله أن يُعبدَ فيها ، والإسراء إلى بيت المقدس قيل : لإقامة الحجة على قريش .

---

(١) علل الشرائع لأبي جعفر القمي ١ : ١٨٤

(٢) [illegible] ١ : ٣١٤

فهو من قبيل الإعجاز ، وذلك أن قريشاً تعلم أنّ محمداً (ص) لا يعرفه ولا أتاه فإذا وصفه لهم كما هو كان ذلك اية تدل على صدقه فيلزمهم الايمان بمضمونه . وجمع الأنبياء له تنبيه على إبانته عنهم وتميزه بالفضل عليهم ، وكل ذلك من حكمة الباري سبحانه التي لا يعلمها ويعقلها إلا من كتب الله على قلبه الإيمان .

ومن المعلوم ، أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ماتوا قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يبق أحد منهم حياً إلاّ عيسى بن مريم (ع) وهو في السماء ، جعلني الله وإياك من المصلين معه خلف المهدي ((عج)) .

فالاجتماع بالأنبياء بعد وفاتهم اية من ايات الله تعالى ، وعجيبة من عجائبه ، والسؤال والإجابة منهم على ما سئلوا اية أخرى ، وعجيبة ثانية أجراها الله عز وجل لمحمد (ص)، وهل يأتي بالعجائب وينعم بالأيات إلا الله ؟؟!

لم يكن الإسراء والعروج بمحمد (ص) إلى المسجد الأقصى وإلى السماء ، إلا لغاية يريدها الله سبحانه فما هي تلك الغاية ؟

* إنك لا تجد مخبراً أصدق من الله جلّ وعلا ، ولا محدثا أبلغ منه ، ولا مبيناً أفصح من كتابه إنه ﴿ لا يأتيه الْباطلُ منْ

بينْ يديْه ولا منْ خلْفه تنْزيلٌ منْ حَكيمٍ حَميد ﴾[1]

ها هو يخبرك فاسمع : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا ﴾[2]

فالاسراء والعروج لم يكن بحكم العقل إلّا لغاية ، ولم تكن الغاية بحكم القران إلاّ أن يُريه من آياته : فما هي تلك الأيات ؟ وما الغرض من إراءة محمد (ص) إياها والكشف له عنها ؟ سؤالان يعرضان لك في مقام البحث ويقفان أمامك وأنت تجول بفكرك النهم المتعطش للارتواء من نمير العلم والشبع من فوائد العرفان . فلنسمع معاً ولنتأمل بتجرد ما يلقيه إلينا نبينا عليه أفضل الصلوات والسلام ، وما يحدثنا به عن الايات التي أراه الله إياها بعد مقدمة صغيرة مني قد تبين لك معنى الاية . واعذرني إذا قصرت لعدم توفر بعض المصادر لي في الوقت الحاضر وقد اقتصرت على ما لديّ منها :

١ ـ الاية في المعنى :هي العلامة الدالة على الله سبحانه . وعلى توحيد الله سبحانه ، وعلى ما يتعلق بتوحيده من معرفة

---

(١) ـ فصلت ٤٢

(٢) ـ الإسراء ١

من تجب معرفته للدلالة عليه والإرشاد إليه .

ولا شك بأن جمع الأنبياء لمحمد (ص) بعد وفاتهم : حتى رآهم وشاهدهم وتكلم معهم اية ، ثم إخباره بالذي بعثوا عليه وآمنوا به اية أخرى . فاسمع إلى المحدثين من الأعلام الاسلامية ، إذ يلقون إليك ما سمعوا عن رسول الله ، وما دمت لا تستطيع أن تقسم بالله على صحة أو خطأ حديث ـ من حيث المضمون المعنوي ـ من أحاديثه المروية فلا تشكك الناس في أقوال الرسول صلوات الله عليه ! وفي أحاديثه زاعماً أنك من المجددين وإن فعلتها فما أنت في الواقع إلا بوق من أبواق المستشرقين والمبشرين، وما يكون قلبك إلا قلباً مقلداً ، أعمى لا يحمل طابع الأصالة ولا طابع التجديد وإنما تحمل طابع الشك والتردد الذي يتنافى مع الايمان . فآمن بما ورد إيماناً يحملك على العمل بما جاء في مضامين الأحاديث وعلى اتباع كل ما جاء بها وعلى الانتهاء عن كل ما نهت عنه إيماناً تحقق للأمة الإسلامية المجد الذي ترجوه . فسلم نفسك إلى أنباء الرسول (ص) الذي (لا ينطق عن الهوى) وضع ما ينتهي إليك على بقعة الإمكان حتى يثبت صحته واضح البرهان كما ذكّرتك سابقاً :

العالم العين الشيخ ابراهيم الشافعي إذ يحدثك بالاسناد إلى عبد الله بن مسعود قائلاً : « قال رسول الله (ص) يا

عبد الله أتاني ملك فقال : يا محمد ! ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِك مِنْ رُسُلنا ﴾ على ما بعثوا ؟ قال : قلت : على ما بعثوا ؟ قالوا : على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب صلى الله عليهما[1]

والحافظ وكبير الحفاظ ابن عساكر روى في تاريخه عن الاسود عن عبد الله قال : قال النبي (ص) يا عبد الله أتاني ملك فقال : يا محمد ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ﴾[2] على ما بعثوا ؟ قال قلت على ما بعثوا ؟ قال : على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب »[3]

والإمام العلامة علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي في سيرته الحلبية قال من حديث طويل لإسراء الرسول (ص) وانتهائه إلى الحجاب وأذان الملك المقرب الذي « أخذ بيد محمد (ص) فقدّمه يؤم بأهل السماوات . . . »[4]

والعلامة الفاضل الشيخ سليمان الحسيني البلخي

---

(١) فرائد السمطين ١ : ٨١. مناقب الخوارزمي ص : ٢٢١ ارشاد القلوب للديلمي ١ . ٢١٠ ينابيع المودة للقندوزي ١ : ٨٠ و٢ : ٦٢

(٢) الزخرف : ٤٥

(٣) ـ ترجمة امام المؤمنين علي بن ابي طالب من كتاب ابن عساكر بتحقيق المحمودي ٢ : ٩٢

(٤) ـ السيرة الحلبية ١ : ٣٧٣

القندوزي روى بالاسناد إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص): لما أسري بي في ليلة المعراج ، فاجتمع علي الأنبياء في السماء فأوحى الله تعالى إليّ : سلهم يا محمد بماذا بعثتم ؟ فقالوا بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وحده وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب . رواه الحافظ أبو نعيم . . . »(1)

والشيخ أبو محمد الديلمي ، وأبو علي الطبرسي في مجمع البيان ومحمد بن يعقوب الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في أماليه ومحمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات رووا مضمون ما قدمنا باختلاف يسير في اللفظ .

وأسند ابن جبير في نخبه إلى الباقر (ع) أنّ النبي (ص) سئل عن قول الله تعالى : ﴿ **وَاسْأَل الَّذينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَاب مِنْ قَبْلِكَ** ﴾(2) من المسؤول ؟ قال : الملائكة والنبيون والشهداء والصديقون حين صليت بهم في السماء ، قال لي جبرائيل : قل لهم : بِمَ تشهدون ؟ قالوا : نشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنك رسول الله وأنّ علياً أمير المؤمنين . . . »(3)

---

(1) - ينابيع المودة للقندوزي ۲ : ٦٢

(2) - يونس : ٩٤ .

(3) - الصراط المستقيم للبياضي العاملي ٢ : ٥٥

وروى يونس بن الصباح المزني عن الصادق (ع) : أنّ الله تعالى عرج بالنبي (ص) مائة وعشرين مرة ، ما من مرة إلا ويوصيه الله بالولاية لعلي (ع)، والأئمة أكثر مما يوصيه بالفرائض[1] .

وفي (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي من مناظرة أمير المؤمنين (ع) مع الزنديق : « وأما قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ فهذا من براهين نبينا التي آتاه الله إياها وأوجب به الحجة على سائر خلقه، لأنه لما ختم به الأنبياء ، وجعله الله رسولاً إلى جميع الأمم وسائر الملل ، خصه الله بالارتقاء إلى السماء عند المعراج ، وجمع له يومئذٍ الأنبياء ، فعلم منهم ما أرسلوا به وحملوه من : عزائم الله ، وآياته ، وبراهينه ، وأقروا أجمعون : بفضله ، وفضل الأوصياء ، والحجج في الأرض من بعده وفضل شيعة وصيه من المؤمنين والمؤمنات ، الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم ، ولم يستكبروا عن أمرهم ، وعرف من أطاعهم وعصاهم من اممهم وسائر من مضى وعبر أو تقدم أو تأخر . . . »[2]

ويحدثنا الشيخ الصدوق عن أبي جعفر الباقر (ع) في حديث طويل يقول فيه : إن الله تبارك وتعالى لما أسرى بنبيه

(١) - نفس المصدر ٢ : ٤٠
(٢) - الاحتجاج ١ : ٣٧٠

(ص) قال له : يا محمد . إنه قد انقضت نبوتك ، وانقطع أكلك ، فمن لأمتك من بعدك ؟ فقلت يا ربي إني قد بلوت خلقك فلم أجد أحداً أطوع لي من علي بن أبي طالب (ع) فقال عز وجل : ولي يا محمد . فأبلغه أنه راية الهدى ، وإمام أوليائي ونور لمن أطاعني . . . [1]

وقال نافع مولى عمر بن الخطاب (رض) يسأل الإمام أبي جعفر الباقر (ع) من حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة :

قال نافع : فاخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ واسْألْ منْ أرْسلْنا منْ قبْلك منْ رُسُلنا أجعلْنا منْ دُون الرّحْمن الهةً يُعْبدُون ﴾[2] من الذي سأل محمد ، وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة ؟؟ قال : متلاً أبو جعفر (ع) هذه الآية ﴿ سُبْحان الذي أسْرى بعبْده ليْلاً من المسْجد الحرام إلى المسْجد الأقْصا الّذي باركْنا حوْلهُ لنريهُ منْ اياتنا ﴾[3] . كان من الآيات التي أراها محمداً ﷺ حيث أسرى به إلى بيت المقدس ، أنه حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ، ثم أمر جبرائيل (ع) فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه « حي على خير العمل ».

---

(١) ـ امالي الصدوق ص : ٣٨٦

(٢) ـ الزخرف : ٤٥

(٣) ـ الاسراء : ١

ثم تقدم محمد (ص) فصلى بالقوم ، فلما انصرف قال الله عز وجل : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ فقال رسول الله (ص): على ما تشهدون ؟ وما كنتم تعبدون ؟ قالوا : نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك رسول الله ، أخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا . . . »[1]

أما الاستفهام عن الغرض الداعي لإراءة محمد (ص) الايات ، وهو العارف بما تكشف عنه الآيات من الدلالة على الله سبحانه ، وعلى توحيده ، وعلى ما يتعلق بذلك من نبوته وإمامة ابن عمه (ع) : فما الغرض من ذلك ؟

والجواب : أن محمدا (ص) بشر كغيره ما خُلق عالماً ﴿ ولقدْ أوْحيْنا إليْك رُوحا منْ أمْرنا ما كُنْت تدْري مَا الْكِتَابُ ولا الإيمانْ . . . ﴾[2] . ولكن الله تعالى علّمه فعلم، وهذه الايات التي أراه الله إياها أحد أسباب ذلك العلم ، هذا مضافاً إلى أن العلم درجات : فمنه ما هو دون مرتبة اليقين ومنه ما يبلغ بصاحبه إلى أعلى درجات اليقين ، وهذا منها . ثم إن خطاب الله سبحانه لمحمد (ص) في كثير من المواضيع من باب

---

(١) ـ الاحتجاج ٢ : ٦٠

(٢) ـ الشورى : ٥٢

إياك أعني واسمعي يا جارة ، يخاطبه ، والمراد به أمته ، ويلقي إليه بالمعلومات ويريد أن يلقي بها إلى أمته وهذا منها .

وربما يزعجك من أقوال الجاهلين حول هذه المسألة ، والقول ، بأن الأنبياء قد ماتوا فكيف اجتمعوا في السماء أو في الأرض ؟ والقول بأن الأنبياء إنما بعثوا لتبليغ الشرائع ، فما معنى القول بأنهم بعثوا على الإقرار بنبوة محمد (ص) وولاية علي (ع) ؟ والقول بأن علياً (ع) كان يومئذ في الأرض وأولاده غير موجودين ولا [illegible] ، فكيف رآهم رسول الله في السماء كما سيأتي ؟

فلا يهولنك ذلك وما أكثر ما يقوله الجاهلون لجهلهم وينكرونه لعدم علمهم أو تعصبهم الأعمى ، أو جحودهم . فإنك بحمد الله من ذلك كله على نور من ربك وبصيرة في أمر دينك فارجع إلى كتاب الله في الجواب على الاعتراض الأول لترى كيف يقرر إحياءه للموتى وقدرته على ذلك سبحانه بقوله ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ على أنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى ﴾[1] وبقوله في مؤمن آل فرعون ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[2] وبقوله في الذين قتلوا

---

(١) ـ القيامة : ٤٠

(٢) ـ يس : ٢٦ ـ ٢٧ .

في سبيله ﴿ ولا تحسبنّ الّذين قُتلُوا في سَبيلِ الله أمْواتاً بَلْ أحْياءٌ عنْد ربّهمْ يُرْزقون فرحين بمَا آتاهُمْ الله مِنْ فَضْله ويَسْتبْشرُون بالّذين لمْ يلْحقُوا بهمْ مّنْ خلْفِهمْ ألاّ خوْفٌ عَليْهمْ ولا هُمْ يحْزنُون ﴾[1]

وإذا كانت الشهداء وسائر المؤمنين لهم هذه المنزلة عند الله فما ظنك بالأنبياء !

وارجع إلى ما عرفت وعلمت من شأن محمد وعلي عليهما السلام في الجواب على الاعتراض الثاني لتعلم أن معرفتهما والإقرار بولايتهما ركن من أركان الدين في جميع الشرائع . فإن الله سبحانه خلق الخلق ليعرف ، ولم يكن في الخلق أكمل منهما معرفة ، ولا مثلهما بالله سبحانه علماً . فإذن هما الغاية من الخلق والإيجاد فمن جهلهما فقد جهل الغاية التي من أجلها خلق ولاجلها وجد وكفى بذلك نقصاً وحاشا الأنبياء عن مثل هذا النقص .

وكيفما كان فلا مانع من أن يكون الله تعالى قد أعلم أنبياءه وأخذ ميثاقهم على المعرفة بحقهما . وقد جاءت بذلك الأخبار . وقد أشار القران إلى شيء من هذا بالنسبة إلى عيسى

---

(١) ـ آل عمران : ١٦٩ ـ ١٧٠

(ع) حيث يقول ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأتي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[1] وإنجيل برنابا يفصح عن هذا في مواضيع متعددة ، والأمة مجمعة على أن الأنبياء قد بشروا بنبينا (ص) فلم يبق في ذلك شك .

وأرجع في الجواب على الاعتراض الثالث إلى عقلك وعلمك لتعلم أن الله الذي قدر على إيجاد حقيقة الشيء وماهيته ـ كجسدك المتحرك الحي ـ مثلاً ـ قادر على إيجاد ما هو بهيئته وصورته . فإن علياً (ع) وإن كان موجوداً في الأرض والأئمة من ولده (ع) لم يكونوا بعد موجودين ولا مولودين ، فإن الله تعالى قادر على وجود ما هو بهيئاتهم وصورهم إعلاماً لنبيه (ص) بهم وإظهاراً في السماء لهم . فلا تنكر قدرة الله وآياته نقضاً أو جهلاً ، وهذا من الإعجاز وينبغى التعجب منه لا نكرانه أم أظنك نسيت . . . !

* * *

* مشاهدته (ص) لجبرائيل :

أشار الله تعالى إلى مشاهدة الرسول لجبرائيل في السماء وذلك في الآية (١٣ـ١٩) من سورة النجم حيث يقول سبحانه فيها : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ

---

(١) ـ الصف : ٦

الْمأوى ، إذْ يغْشى السِّدْرَةَ ما يَغْشى ، مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغى ، لقدْ رأى منْ آيات رَبّه الْكُبْرى ﴾.

فإنك تجد المفسرين لا يختلفون في أن المرئي هو جبرائيل (ع) قال صاحب مجمع البيان عند ذكر الآية في تفسيره : « أي رأى جبرائيل في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء نزلة أخرى وذلك أنه رآه مرتين في صورته . . . » على ما ذكره[1] ولم يذكر خلافاً في ذلك على عادته في التنبيه على مواضع الخلاف وذكر المختلفين وأقوالهم فعلم أنه موضع وفاق .

* جبرائيل في الأرض

كان محمد (ص) يرى جبرائيل في الأرض على صورة الادميين ، وكثيرا ما يكون على هيئة دحية بن خليفة الكلبي ، ودحية هذا كان من كبار الصحابة شهد أحداً وما بعدها . وبقي إلى خلافة معاوية .

* توضيح :

لقد رأى رسول الله (ص) جبرائيل (ع) على صورته التي خلق عليها مرتين كما أسلفنا ، مرة في الأرض : وإليها الإشارة بقوله تعالى شأنه حيث يقول في الاية (٥ ـ ١٠) من سورة

---

(١) الطبرسي، ٩: ١٧٥ .

النجم ﴿ إنْ هُو إلاّ وَحْيٌ يُوحى (٥) عَلّمهُ شديدُ القُوى (٦) .
ذُو مِرَّة فاسْتَوى (٧) وهُو بالأفُق الأعْلى (٨) ثُمّ دنا فتدلّى (٩)
فَكَان قاب قوْسيْنْ أوْ أدْنى (١٠)

فإنك تجد المفسرين لا يختلفون في أنّ المقصود بهذه الأوصاف والنعوت جبرائيل . وأنه هو الذي علم محمداً (ص) . وأنه هو الشديد القوى ، وأنه هو ذو المرة أي القوة ، وأنه هو الذي استوى على صورته التي خلق عليها بعد انحداره إلى محمد (ص) بالأفق الأعلى أي بجانب المشرق الذي هو فوق جانب المغرب من صعيد الأرض لا في الهواء ، وأن السبب في نزول جبرائيل على هذه الصورة هو أنه كان يأتيه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين : مرة في الأرض ، ومرة في السماء . أما في الأرض ففي الأفق الأعلى ؛ وذلك أن محمداً (ص) كان بحراء ، فطلع له جبرائيل من المشرق فسد الأفق إلى المغرب . فخر النبي (ص) مغشياً عليه ، فنزل جبرائيل (ع) في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وهو قوله ﴿ ثُمّ دنى فَتَدَلَّى ﴾ أي ثم قرب فتدلى من السماء إلى الأرض إلى محمد (ص) فكان منه قاب قوسين أو أدنى أي قدر قوسين أي ذراعين أو أدنى .

وإنما اختلف المفسرون في أشياء لا ربط لها بما نحن بصدده : من أن المرئي كان جبرائيل مثل قوله ﴿ ذُو مِرّةٍ ﴾ :

فعن الكلبي وهو من أعلام المفسرين : أن المقصود ذو قوة وشدة وعن ابن عباس وقتادة أن المعنى ذو صحة وخلق حسن . وعن الجبائي : أن المقصود أنه ذو مرور في الهواء ذاهباً وجائياً ونازلاً وصاعداً ومثل قوله ﴿ ثُمّ دنا فتَدَلّى ﴾ :

فعن الحسن وقتادة : أن المقصود ثم دنا جبرائيل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد (ص) وعن الزجاج : أن معنى دنا وتدلى واحد : لأن معنى دنا : قرب . وتدلى : زاد في القرب كما تقول قد دنا مني فلان وقرب . ولو قلت قرب مني ودنا جاز . ومثل قوله ﴿ قاب قوسين ﴾ :

فعن ابن عباس أنه كان ما بين جبرائيل ورسول الله (ص) قاب قوسين ، والقوس : ما يرمى بها ، وخصت بالذكر على عادتهم . يقال : « قاب قوسين وقيب قوس وقيد قوس وقاد قوس »[1] وهو اختيار الزجاج . وعن عبد الله بن مسعود أن المعنى كان قدر ذراعين . وروي عن أنس بن مالك عنَ رسول الله (ص) كذلك .

وإنك لترى من هذا الاتفاق على أن المرئي كان جبرائيل وأنه لا خلاف ، وإنما وقع الخلاف في معاني هذه الألفاظ فكل

---

(١) اللسان : مادة قوب

منهم قال بحسب فهمه وباعتبار ما ظهر له[1] .

* همسة :

قالوا : إن الرسول (ص) شاهد ربه مشاهدة عيان ومنهم الإمام الألوسي في تفسيره يقول :« بصراحة لا لبس فيها » :«أنا أقول برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم ، ربه سبحانه ، وبدنوه منه سبحانه على الوجه اللائق ذهبت فيها اقتضاه ظاهر النظم الجليل إلى ما قاله صاحب الكشف ، أم ذهبت فيه إلى ما قاله الطيبي فتأمل والله تعالى الموفق »[2] ووافق معه الدكتور عبد الحليم محمود . فأقول :

روى الطبرسي في الاحتجاج ، مناظرة أبي قرة مع الرضا (ع) قال من حوار طويل :

قال أبو قرة : فإنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين

فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمد (ص) الرؤية .

فقال أبو الحسن الرضا (ع) : فمن المبلغ عن الله إلى

---

(١) ـ راجع حول كل ذلك تفسير التبيان للشيخ الطوسي ٩ : ٤٢٢ ومجمع البيان للشيخ الطبرسي ٩: ١٧٥

(٢) ـ الاسراء والمعراج لعبد الحليم محمود ص : ١١١ ط مصر

الثقلين : الجن والانس أنه ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ (١) ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ (٢) و﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (٣) أليس محمد (ص) ؟

قال : بلى

قال أبو الحسن : فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم : أنه جاء من عند الله ، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله ، ويقول : أنا رأيته بعيني ، وأحطت به علماً ، وهو على صورة البشر ؟ أما تستحيون ؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا : أن يكون أتى عن الله بأمر ثم يأتي بخلافه من وجه اخر .

فقال أبو قرة : إنه يقول ﴿ ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى ﴾ (٤)

فقال أبو الحسن (ع) : إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال : ﴿ ما كذب الْفُؤادُ مَا رَأى ﴾ (٥) يقول : ما كذب فؤاد محمد (ص) ما رأت عيناه ، ثم أخبر بما رأت عيناه

---

(١) الانعام : ١٠٣

(٢) طه : ١١٠

(٣) الشورى : ١١١

(٤) النجم : ١٣

(٥) ـ النجم : ١١

فقال : ﴿ لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ ربِّه الْكُبْرى ﴾(١) فآيات الله غير الله ، وقال : ﴿ ... ولاَ يُحيطُون به علْماً ﴾ (٢) فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة .

فقال أبو قرة : فتكذب بالرواية

فقال أبو الحسن (ع) : إذا كانت الرواية مخالفة للقران كذبتها ، وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً ، ولا تدركه الأبصار ، وليس كمثله شيء .

وسأله عن قول الله : ﴿ سُبْحانَ الَّذي أسْرى بعبْده ليْلاً مِنَ الْمَسْجدِ الْحَرَامِ إلى الْمسْجد الأقصا ﴾ (٣)

فقال أبو الحسن (ع) : فقد أخبر الله تعالى : أنه أسرى به ، ثم أخبر لم أُسري به ، فقال : ﴿ لنُريَهُ منْ اياتنا ﴾ (٤) فآيات الله غير الله ، فقد أعذر ، وبين لم فعل به ذلك وما رآه ، وقال : ﴿ فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ الله وَآيَاتِهِ تُؤْمِنُون ﴾(٥) فأخبر أنه غير الله(٦)

---

(١) ـ النجم : ١٨

(٢) ـ طه : ١١٠

(٣) ـ الاسراء : ١

(٤) ـ الاسراء : ١

(٥) ـ الجاثية ٥

(٦) ـ الاحتجاج للطبرسي ١٨٦/٢ والكافي للكليني ١ : ٩٦

وفي مناظرة أمير المؤمنين (ع) مع الزنديق : قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : « وأما قوله ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نزْلَةً أُخْرى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى ﴾ يعني محمداً كان عند سدرة المنتهى حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عز وجل . وقوله في اخر الاية : ﴿ مَا زاغَ الْبَصَرُ وما طغى ، لَقَدْ رَأى مِنْ آيات رَبّهِ الْكُبْرى ﴾ رأى جبرائيل في صورته مرتين ، هذه مرة ومرة أخرى وذلك أن خلق جبرائيل خلق عظيم ، فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم ولا صفتهم الحقيقية إلا الله رب العالمين وهو خالقهم[1]

وفي الأمالي عن ثابت بن دينار قال : سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان ؟ فقال : تعالى الله عن ذلك .

قلت : فلم أسرى بنبيه محمد (ص) إلى السماء ؟

قال : ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه .

قلت : فقول الله عز وجل ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قابَ قوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى ﴾[2]

---

(١) ـ الاحتجاج للطبرسي ١ : ٣٧٠

(٢) ـ النجم : ٨ : ٩

قال : ذاك رسول الله (ص) دنا من حجب النور ، فرأى ملكوت السماوات ، ثم تدلى فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى[1]

أقول : المرئي جبرائيل والمشاهد محمد (ص) وغير ذلك يستحق صاحبه الدعاء بالهداية إلى دين الله سبحانه لأن ربي غير منظور ولا يدرك بالحواس ولا بالأوهام فتعالى الله عما يصفون .

* محمد (ص) والسِّدرة

لم يختلف المفسرون في انتهاء محمد (ص) إلى السدرة وفي رؤ يتها ، وإنما اختلفوا في معناها ، وفيما لها من الخصائص :

فعن الكلبي ومقاتل من أعلام المفسرين : أنها شجرة عن يمين العرش فوق السماء ، انتهى إليها علم كل ملك .

وعن ابن مسعود والضحاك : أن إليها ينتهى ما يعرج إلى السماء وما يهبط من فوقها من أمر الله سبحانه .

وعن مقاتل أنها شجرة طوبى . وقيل هي شجرة النبوة وقيل إليها تنتهي أرواح الشهداء .

وعن الشيخ الطوسي في تفسيره للآية ﴿ إِذْ يَغْشَى

(١) ـ امالي الصدوق ص : ١٢٨

السِّدْرة ما يغْشى ﴾[1] قال : « معناه يغشى السدرة من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق للأبصار ، وما ليس لوصفه منتهى وقال ابن مسعود ومجاهد وروي ذلك عن النبي (ص) : أنه غشي السدرة فراش الذهب . وقال الربيع غشيها من النور ، نور الملائكة ، . وقوله ﴿ ما يغشى ﴾ أبلغ لفظ في هذا المعنى . والغشيان لباس الشيء مما يعمه . . »[2] .

وفي هذا المعنى قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ إذْ يغْشى السِّدْرة ما يغْشى ﴾ : السدر : شجر معروف . والتاء : للوحدة وغشيان الشيء : الإحاطة به و (ما) موصولة . والمعنى : إذ يحيط بالسدرة ما يحيط بها »[3]

وأنت ترى من هذا أن لا خلاف لهم في رؤية محمد (ص) لها وانتهائه إليها ويؤيد ذلك أخبار وأحاديث تأتي إن شاء الله . فإن قلت : وماذا يغشى السدرة ؟ : فإن الله سبحانه أبهم ذلك تفخيماً له وتعظيماً ، ومهما غشيها وكله جائز في روايات المفسرين فالمعنى : أن محمداً (ص) رأى جبرائيل عند السدرة إذ يغشى السدرة ما يغشى من العجائب المنبهة على قدرة الله تعالى .

---

(١) النجم : ١٦

(٢) التبيان ٩ : ٣١

(٣) الميزان ١٩ : ٣١

* محمد (ص) والجنة :

ترى من قوله سبحانه بعد ما ذكر السدرة : ﴿ عنْدها جَنَّةُ الْمَأْوى ﴾[1] إن عند السدرة جنة المأوى : وهو لا ينافي كون السدرة في الجنة ، ويصح التعبير بمثل هذا للدلالة على عظمة السدرة وأنها لشيوعها وسعتها وانتشارها تهدي إلى الجنة وتدل عليها وترشد إليها فهي في الجنة ، وتدل على الجنة .

ولقد اختلف المفسرون في هذه الجنة :

فقيل : هي جنة المقام ، وهي جنة الخلد ، وهي في السماء السابعة ، وقيل في السماء السادسة . وقيل هي الجنة التي أوى إليها آدم ، وتصير إليها أرواح الشهداء ، وقيل هي الجنة التي يصير إليها أهل الجنة . وقيل هي التي يأوي إليها جبرائيل والملائكة .

ونؤيد القول الأول مع ما يؤيده :

قال ابن مسعود والضحاك : سدرة المنتهى في السماء السادسة ، إليها ينتهي ما يعرج من السماء ، وجنة المأوى عندها .

وقال الحسن : جنة المأوى هي التي يصير إليها أهل الجنة .

(٢) النجم : ١٥

وقيل : أن الرسول (ص) رأى من آيات الله ودلائله أكبرها جنة الخلد وهي في السماء السابعة .

وقيل : إنه يجتمع فيها أرواح الشهداء ، وهي الكبرى التي تصغر عندها الآيات ، في معنى صفتها . والأكبر الذي هو يصغر مقدار غيره عنده في معنى صفته[1] .

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا : قال رسول الله (ص) لعلي (ع): « يا علي ! انه لما أسري بي رأيت في الجنة نهراً أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد استقامة من السهم ، فيه أباريق عدد النجوم على شاطئه قباب الياقوت الاحمر والدر الأبيض . . . وإن في الجنة لشجراً يتصفق بالتسبيح بصوت لم يسمع الأولون والآخرون بمثله يثمر ثمراً كالرمان ، يلقي الثمرة إلى الرجل فيشقها على سبعين حلة ، والمؤمنون على كراسي من نور وهم الغُرّ المحجلون ، وأنت إمامهم يوم القيامة »[2] .

وعن عبد السلام بن صالح الهروي قال : قلت لعلي بن موسى الرضا (ع): يا ابن رسول الله فاخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان ؟ فقال : « نعم وإن رسول الله قد دخل

---

(١) ـ راجع كل تلك الأقوال في التبيان للشيخ الطوسي ٩ : ٤٢٦

(٢) ـ كتاب المحاسن للبرقي ص : ١٣٧

الجنة ورأى النار لما عُرج به إلى السماء . قال فقلت له : « فإن قوماً يقولون أنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين ؟ فقال (ع) : ما أولئك منا ولا نحن منهم . من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي (ص) وكذبنا وليس من ولايتنا على شيء ، ويخلد في نار جهنم قال الله عز وجل ﴿ هذه جهنّم التي يُكذّبُ بها الْمُجْرمُون ، يطُوفُون بيْنها وبيْن حميم انٍ ﴾ الرحمن / ٤٣ - ٤٤ وقال النبي (ص) لما عُرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته . . . »[١]

وعن الفيروز آبادي نقلاً عن تاريخ بغداد قال : « عن أبي سعيد الخدري : إنَّ رسول الله(ص) قال : لما أسري بي دخلت الجنة فناولني جبريل تفاحة فانفلقت نصفين فخرجت منها حوراء . . . »[٢] .

وعنه أيضاً نقلاً عن الرياض النضرة عن أنس قال : قال رسول الله (ص) : لما أسرى بي إلى السماء ، أخذ جبريل بيدي وأقعدني على درنوك من درانيك الجنة وناولني سفرجلة فكنت أقلبها إذ انفلقت وخرجت منها حوراء لم أر أحسن منها . فقالت : السلام عليك يا محمد . قلت وعليك السلام . . . »[٣]

---

(١) - امالي الصدوق ص : ٣٧٣

(٢) - فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي ٣ : ١٢٠

(٣) - نفس المصدر ٣ : ١٢٠

وأنت ترى من هذه الأحاديث دليلاً بيناً على أن الجنة التي دخلها رسول الله (ص) هي جنة الخلد ، التي يرجع إليها المؤمنون بعد نشرهم وحشرهم وهي التي يقول الله سبحانه فيها : ﴿ إنَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات ، أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة جزاؤُهُمْ عنْد ربِّهِمْ جنَّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأنْهارُ ، خَالِدِين فِيهَا أَبداً رضِيَ الله عنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[1] وهي الجنة التي وعد الله بها المتقين .

* محمد (ص) يرى النار وخازنها

عن أبي جعفر الباقر (ع) قال : « أن رسول الله حيث أسري به إلى السماء لم يمُرّ بخلق من خلق الله إلّا رأى منه ما يحب من البشْر واللطف والسرور به ، حتى مرّ بخلق من خلْق الله ، فلم يلتفت إليه ، ولم يقل له شيئاً فوجده قاطباً عابساً ، فقال : يا جبرائيل ! ما مررت بخلق من خلق الله إلّا رأيت البشر واللطف والسرور منه إلّا هذا فمن هذا ؟! قال : هذا مالك خازن النار وهكذا خلقه ربه قال : « فإني أحب أن تطلب إليه أن يريني النار ». فقال له جبرائيل : « إنَّ هذا محمداً رسول الله ، وقد سألني أن أطلب إليك أن تريه النار ». قال : فأخرج

---

(١) ـ البينة : ٧ و٨ وقد نزلت في علي وشيعته : تفسير الطبري ٣٠ : ١٧١ والصواعق المحرقة ٩٦ والشبلنجي في نور الأبصار ص ٧٠ و ١٠١

له عنقاً منها فرآها ، فلما أبصرها لم يكن ضاحكاً حتى قبضه الله تعالى »[1] .

وفي حديث أن مالكاً خازن النار « فتح غطاءها فاطلع فيها رسول الله (ص) إطلاعة فرأى ما أعد الله فيها لأهلها فلم يضحك بعد ذلك ، وفي رواية عن ابن عباس أنه رأى المعذبين .

وخلاصة القول أن الجنة والنار موجودتان الآن ، معدتان لأصحابها ، كما نطق بذلك القرآن الكريم وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله (ص) خلافاً لمن زعم أن الجنة والنار لم يُخلقا بعد وإنما يخلقان يوم القيامة . وهذا القول صدر ممن لم يطلع على الأحاديث المتفق على صحتها في الصحيحين وغيرهما من كتب الاسلام المعتمدة المشهورة بالأسانيد الصحيحة والحسنة لا يمكن دفعه ولا رده لتواتره . وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ص) « أنه رأى الجنة والنار ليلة الإسراء »[2]

(١) ـ امالي الصدوق ص : ٤٧١ و٣٦٦ والجواهر السنية للحر العاملي ص : ٢٢٩ والتبيان ٦ : ٤٤٦

(٢) ـ نهاية البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٣٤١

الفصل الخامس

مشاهدات الرسول (ص) بشأن علي (ع)

* ما رآه الرسول (ص) بشأن علي (ع) :

قبل أن أورد لك شيئاً من هذا أفهمك اعتقادي بعلي (ع) لئلا تتهمني بالغلو عند إيراد ما لا تتحمله من فضل أمير المؤمنين (ع) .

إن اعتقادي بعلي (ع) أنه بشر ، خلقه الله تعالى كما خلق غيره من حيث جوهر الخلق ، إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى ميَّزه بمكان الولادة ، فهو عليه السلام ولد في داخل الكعبة ولم يولد قبله ولا بعده إلى زماننا مولود في بيت الله تعالى سواه إكراماً من الله جل إسمه له بذلك وإجلالاً لمحلِّه في التعظيم كما قال الشيخ المفيد في الإرشاد . وامتاز عليه السلام بطاعة لله سبحانه لم يبلغها بعد محمد غيرُه وعلم الله منه ذلك فأعطاه ما لم يعطِ غيره ، وأنعم عليه بما لم ينعم على من سواه ، وليس ذلك بعجيب من أمره ، فإنه سبحانه يكافىء على الحسنة بأضعاف

أمثالها ، ويجزي على الطاعة بما يعجز العقل والفكر عن تصوره . وقد رأيت ما أعطى أصحاب الكهف وما أجرى على يد آصف ، وكيف نجى يونس وأنى رفع المسيح ، وهم دون علي في الطاعة وأقل منه في جميع أنواع الفضيلة . ولو وقفت عند هذا التعبير فقط لوقعت بما حذرتك منه سلفاً ولكنني سأجلو الهم عن عقلك . ألا تذكر أين قرأت أو سمعت أن الرسول (ص) قال ما مضمونه : علماء أمتي أفضل من أنبياء بني اسرائيل ؟ وما رأيك بكبير علماء أمة محمد أعني أمير المؤمنين وعيسى وهو أحد أنبياء بني اسرائيل في التفاضل ؟؟!!

وإن كثيراً من الناس يجهلون معنى الغلو الذي قاله رسول الله (ص): « يا علي هلك فيك اثنان محب غال وعدو قال » فتراهم : كلما نثبت لعلي (ع) فضيلة لا تتحملها أفكارهم الضيقة أو تعصبهم الأعمى ، أو علمهم المحدود أو ايمانهم الضعيف أو نفاقهم المستور قالوا : هذا غلوّ . وعليه لنكشف قليلاً عن الغلو فنقول : قيل في الغلو أنه اعتقاد الربوبية لأمير المؤمنين (ع) أو أحد الأئمة من ولده (ع).

وقيل أن الغلو هو اعتقاد حلول الله تعالى فيهم أو في أحدهم صلوات الله عليهم .

وقيل هو تجاوز الحد في صفات الأنبياء والأئمة عليهم

السلام مثل الاعتقاد بأنهم خالقون أو رازقون أو لا يغفلون أو لا يشغلهم شأن عن شأن أو نحو ذلك من الصفات التي لا تصح إلا لله سبحانه ، ولهذا قالوا : جنبونا آلهة تعبد ، واجعلوا لنا ربا نؤوب إليه وقولوا فينا ما استطعتم وذاك كما قيل :

جنبوهم قول الغلاة وقولوا
ما استطعتم في فضلهم أن تقولوا
فإذا عدت سماء مع الأرض
إلى فضلهم فذاك قليل

وعنهم عليهم السلام ، أنهم قالوا : كونوا لنا زينا ، ولا تكونوا علينا شينا ، فإنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه قرابة إلا من إئتم بإمام فليعمل بعمله ، فما معنا براءة من النار ، وليس لنا على الله حجة فاحذروا المعصية لنا ، والمغالاة فينا ، فإن الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله والله إن الغلاة شر من الذين أشركوا ، وإلينا يرجع الغالي ، فلا نقبله لأن الغالي اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصوم ، فلا يقدر على ترك عادته وبنا يلحق المقصر فنقبله لأن المقصر إذا عرف عمل .

وقالوا : نزهونا عن الربوبية وارفعوا عنا حظوظ البشرية ، يعني الحظوظ التي تجوز عليكم فلا يقاس بنا أحد من

الناس ، فإنا نحسن الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية ، والكلمة الربانية الناطقة في الأجساد الترابية ، وقولوا بعد ذاك ما استطعتم فإن البحر لا ينزف وعظمة الله لا توصف .

واذكر أني قرأت ولا أعرف موضعه : « والغالي من يقول في أهل البيت ما لا يقولون في أنفسهم » .

أما إثبات الفضائل وعلو الدرجة والمنزلة عند الله تعالى ، وزيادة المحبة والإخلاص في الولاية والوصاية حسبما يقضي به الدليل وينص عليه البرهان ، فليس من الغلو في شيء بل هو محض الإيمان وخالص الطاعة ، وحقيقة العبودية لله سبحانه فيما أرشد إليه ، ودلّ عليه ، وكل ما نثبته لعلي (ع) في هذا الفصل المقبل لا يتجاوز هذا المعنى فأنعم النظر ، وأحسن التأمل وأنصف في القول .

شيء آخر : إن تبيان فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) غايته طاعة لمن أمر الله تبيان فضله ، يعني طاعة لله عز وجل أولاً .

والناحية المهمة من تبيان الفضل هو أخذ الأحكام الشرعية وتفاصيل القانون الإلهي من محل وديعة النبي ووارث علمه والمؤدي عنه ، فالإيمان بأفضلية أهل البيت يقضي

بالالتزام بتفاصيل الأحكام الإلهية الصادرة عن الله وهم يؤدونها إلينا . ومن هنا تصحح العبادات والمعاملات لأننا بإقرارنا بذلك نكون قد أخذنا الشيء من مصدره الثقة ، ومن هنا ينطلق التركيز في المنظور البعيد على الخلافة والإمامة والأفضلية . فالهدف يصب بروافده في خدمة الإسلام والمسلمين . ولا يهمنا جعجعة الشياطين بهدف الدس والتدمير .

* ١ ـ الراضية المرضية تنتظر علي (ع) في الجنة :

بالإسناد إلى علي بن أبي طالب عليه السلام روى الجويني الخراساني الشافعي قال : قال رسول الله (ص) : لما أسري بي إلى السماء أخذ جبرائيل بيدي وأقعدني على درنوك من درانيك الجنة ثم ناولني سفرجلة بينها أنا أقلبها إذ انفلقت فخرجت منها جاريه حوراء لم أر أحسن منها . فقالت : السلام عليك يا محمد . قلت : وعليك السلام من أنت ؟ قالت أنا الراضية المرضية خلقني الجبار من ثلاثة أصناف : أعلاي من عنبر ، ووسطي من كافور وأسفلي من مسك ، عجنني من ماء الحيوان ثم قال الجبار : كوني فكنت خلقني لأخيك وابن عمك علي بن أبي طالب[1] .

---

(١) ـ فرائد السمطين ١ : ٨٨ . المناقب للخوارزمي ص : ٢١٠ . امالي الصدوق ١٥٤ ينابيع المودة للقندوزي ١ : ١٣٥ و٢ : ٣٨ . الجواهر ـ

* ٢ ـ المنادي من وراء الحجب

عن أبي جعفر (ع) عن أبيه قال : حدثني أبي عن جدي عن علي بن أبي طالب [صلوات الله عليهم أجمعين] قال : لما أسري بالنبي صلى الله عليه واله قال : رفعت إلى رفارف من نور ثم رفعت إلى حجب من نور ، فأوعز إلي الجبار بما شاء . فلما انقلبت من عنده نادى مناد من وراء الحجب : يا محمد ، نعم الأب أبوك ابراهيم ونعم الأخ أخوك علي فاستوصي به خيراً(١)

* ٣ ـ ثلاثة :

عن عبد الله بن عكيم الجهني ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلي في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي : إنه سيد المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغُرّ المحجلين(٢) .

عن الصادق (ع) أن المنصور قال للصادق (ع) : حدثني عن فضائل جدك علي بن أبي طالب حديثا لم تأثره العامة فقال

السنية للحر العاملي ٢٢٧ فضائل الخمسه للفيروز ابادي ٣ ١٢٠

(١) ـ المناقب للخوارزمي ص : ٢١٣. فرائد السمطين ١ : ١٠٩ ارشاد القلوب للديلمي ٢٥٥

(٢) ـ فرائد السمطين ١ : ١٤٣. المناقب للخوارزمي ٢٣٥ ابن عساكر ٢ : ٢٥٧. المعجم الصغير للطبراني ٢ : ٨٨ ط٢.

الصادق (ع): حدثني أبي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله (ص): لما أسري بي إلى السماء عهد إلي ربي في علي ثلاث كلمات فقال: يا محمد. فقلت: لبيك فقال عز وجل: إن عليا إمام المتقين وقائد الغر المحجلين ويعسوب المؤمنين، فبشره بذلك. فبشره النبي (ص) فخر علي عليه السلام ساجداً شاكراً لله ثم رفع رأسه فقال: يا رسول الله أبلغ من قدري أني أذكر هناك؟ فقال: نعم وإن الله يعرفك وإنك لتذكر في الرفيق الأعلى. فقال المنصور: فضل الله يؤتيه من يشاء[1].

٤ ـ حديث صعب مستصعب

عن عبد الله بن عمر قال: سئل رسول الله (ص): بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال خاطبني بلغة علي بن أبي طالب، فألهمني أن قلت: خاطبتني يا رب أم علي؟؟ فقال: يا أحمد. أنا شيء لا كالأشياء، لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري، وخلقت علياً من نورك فاطلعت على سرائر قلبك، فلم أجد إلى قلبك أحب من علي بن أبي طالب، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك[2]

---

(١) ـ الجواهر السنية ص: ٢٣١

(٢) ـ المناقب للخوارزمي ص ٣٧. ينابيع المودة للقندوزي ص: ٨١ الجواهر السنية ص: ٢٩٥

* ٥ ـ مكتوب على ساق العرش

عن أبي الحمراء خادم رسول الله (ص) قال : قال النبي (ص): ليلة أسري بي رأيت على ساق العرش الأيمن مكتوباً : أنا الله وحدي ، لا إله غيري غرست جنة عدن بيدي لمحمد صفوتي أيدته بعلي[1]

* ٦ ـ مكتوب على ابواب الجنة

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله (ص) : لما أسري بي إلى السماء أمر الله بعرض الجنة والنار عليّ فرأيتهما جميعاً ، رأيت الجنة وألوان نعيمها ، ورأيت النار وألوان عذابها ، فلما رجعت قال لي جبرائيل عليه السلام : هل قرأت يا رسول الله ما كان مكتوباً على أبواب الجنة ، فقلت لا يا جبرائيل قال : إن للجنة ثمانية أبواب على كل باب منها أربع كلمات ، كل كلمة منها خير من الدنيا وما فيها لمن تعلمها واستعملها . . . فقلت يا جبرائيل ارجع معي لأقرأها ، فرجع معي جبرائيل عليه السلام .

فإذا على الباب الأول منها مكتوب : لا إله إلا الله محمد

(١) ـ فرائد السمطين ١ : ٢٣٧ . ابن عساكر ٢ . ٣٥٣ ذخائر العقبى ص : ٦٩ الجواهر السنية نقلاً عن الخوارزمي ٢٩٣ المناقب للخوارزمي ص : ٢٢٩

رسول الله ، علي ولي الله ، لكل شيء حيلة ، وحيلة طيب العيش في الدنيا أربع خصال : القناعة ، ونبذ الحقد ، وترك الحسد ، ومجالسة أهل الخير .

وعلى الباب الثاني مكتوب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، لكل شيء حيلة وحيلة السرور في الاخرة أربع خصال : مسح رأس اليتامى ، والتعطف على الأرامل ، والسعي في حوائج المسلمين ، وتفقد الفقراء والمساكين .

وعلى الباب الثالث منها مكتوب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، لكل شيء حيلة ، وحيلة الصحة في الدنيا أربع خصال : قلة الكلام ، وقلة المنام ، وقلة المشي ، وقلة الطعام .

وعلى الباب الرابع منها مكتوب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، من كان يؤمن بالله واليوم والاخر : فليكرم ضيفه ، من كان يؤمن بالله واليوم والاخر فليبر والديه ، من كان يؤمن بالله واليوم والاخر فليقل خيراً أو يسكت .

وعلى الباب الخامس منها مكتوب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، من أراد أن لا يُذل فلا يَذِلّ

، ومن أراد أن لا يُشْتم فلا يشتم ، ومن أراد أن لا يُظْلم فلا يَظلم . ومن أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله .

وعلى الباب السادس منها مكتوب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، من أحب أن يكون قبره واسعاً فسيحاً فلينق المساجد ، ومن أحب أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد ، ومن أحب أن لا يظلم لحده فلينور المساجد ، ومن أراد أن يبقى طريا تحت الأرض فلا يبلى جسده فلينشر بسط المساجد .

وعلى الباب السابع منها مكتوب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، بياض القلب في أربع خصال : في عيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وشراء أكفان الموتى ، ودفع القرض .

وعلى الباب الثامن منها مكتوب : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، من أراد الدخول في هذه الأبواب الثمانية فليتمسك بأربع خصال : بالصدقة ، والسخاء ، وحسن الأخلاق ، وكف الأذى عن عباد الله عز وجل »[1]

---

(١) - فرائد السمطين ١ : ٢٣٩ . الفضائل لابن شاذان ص ١٥٢

* ٧ ـ علي (ع) خليفة رسول الله (ص) :

عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (ص) : لما أسري بي إلى السماء ثم من السماء إلى سدرة المنتهى وقفت بين يدي ربي عز وجل فقال لي : يا محمد . فقلت لبيك وسعديك . قال : قد بلوت خلقي فأيهم رأيت أطوع لك ؟ قال قلت ربي رأيت علياً أطوع لي ، قال : صدقت يا محمد فهل اتخذت لنفسك خليفة يؤدي عنك ويعلم عبادي من كتابي ما لا يعلمون ؟ قال : قلت اختر لي يا رب . قال : قد اخترت لك علياً فاتخذه لنفسك خليفة ووصياً . يا محمد علي راية الهدى وإمام من أطاعني ونور أوليائي ، وهوالكلمة التي الزمتها المتقين ، من أحبه فقد أحبني ، ومن أبغضه فقد أبغضني فبشره بذلك يا محمد »[1] .

* ٨ ـ علي (ع) حبيب الله :

عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) لما عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي حبيب الله . . .[2]

(١) ـ فرائد السمطين ١ : ٢٦٨

(٢) ـ نفس المصدر ٢ : ٧٤ . المناقب للخوارزمي ص : ٢١٤ . ارشاد القلوب للديلمي ٢٣٤

* ٩ ـ علي (ع) من الأعلى

عن أبي سلمى راعي إبل رسول الله (ص) قال باسناده إلى رسول الله (ص) من حديث طويل قال رسول الله (ص) : ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل ﴿ امن الرسول بما أنزل إليه من ربه ﴾[١] قلت : والمؤمنون . قال : صدقت يا محمد . . . إلى أن قال سبحانه : يا محمد إني اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك إسماً من أسمائي فلا أذكر إلا ذكرت معي فأنا المحمود وأنت محمد ، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً وشققت له إسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي[٢]

* ١٠ ـ مكتوب . . .

عن محمد بن الحنفية قال : قال النبي (ص) لما عرج بي إلى السماء رأيت في السماء الرابعة أو السادسة ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج وفي جبهته مكتوب : أيّد الله محمدا بعليّ . فبقيت متعجباً فقال لي الملك : لم تعجب ؟! كتب الله في جبهتي ما ترى قبل الدنيا بألفي عام[٣]

* ١١ ـ عليّ (ع) الحجة على الخلق بعد النبي (ص)

قال رسول الله (ص) ليلة أسري بي إلى السماء كلمني

---

(١) ـ البقرة : ٢٨٥

(٢) ـ فرائد السمطين ٢ : ٣٢٠

(٣) ـ المناقب للخوارزمي ص : ٢١٨

ربي جل جلاله فقال : يا محمد ، فقلت لبيك ربي . فقال : عليّ حجتي بعدك على خلقي ، وإمام أهل طاعتي ، من أطاعه أطاعني ومن عصاه عصاني ، فانصبه لامتك يهتدون به بعدك[1]

* ١٢ ـ علي (ع) إمام الأولياء

قال رسول الله (ص) : ما عرج بي ربي عز وجل إلى السماء قط وكلمني ربي إلا قال لي : يا محمد . أقرىء علياً مني السلام وعرفه أنه إمام أوليائي ونور أهل طاعتي[2] .

* ١٣ ـ مثال علي (ع) في السماء .

من كتاب كفاية الطالب للحافظ الشافعي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (ص): مررت ليلة أسري بي إلى السماء وإذا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحدق به ، فقلت يا جبرائيل من هذا الملك ؟ فقال أدنُ منه وسلم عليه ، فدنوت منه وسلمت عليه فإذا بأخي وابن عمي علي بن أبي طالب (ع) فقلت يا جبرائيل سبقني علي بن أبي طالب إلى السماء الرابعة ! فقال : لا يا محمد ولكن الملائكة شكت حبها لعلي فخلق الله هذا الملك من نور على صورة علي بن أبي

---

(١) ـ امالي الصدوق ص : ٣٨٧

(٢) ـ امالي الصدوق : ٢٥٢ . مشارق انوار اليقين للحافظ البرسي ص : ٥٤

طالب . فالملائكة تزوره في كل ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرة يسبحون الله تعالى ويقدسونه ويهدون ثوابه لمحب علي (ع)[1] . ومدحه السيد حسن بحر العلوم بقصيدة عصماء منها في الموضوع :

من لدى المعراج قد شاهده
خاتم الرسل بأعلى الطبقات

* ١٤ - في المناشدة .

ومن حديث أميرالمؤمنين يوم المناشدة قال : هل فيكم أحد اشتاقت الملائكة إلى رؤيته فاستأذنت الله في زيارته غيري ؟ قالوا : لا[2] .

* ١٥ - تمثال لعلي (ع) في السماء أيضاً :

عن الحسين بن علي (ع) قال : حدثني جدي رسول الله (ص) قال : ليلة أسري بي رأيت في بطنان العرش ملكا بيده سيف من نور يلعب به كلعب علي بن أبي طالب بذي الفقار وإن الملائكة إذا اشتاقوا إلى علي بن أبي طالب نظروا إلى ذلك الملك فقلت : يا رب هذا أخي علي بن أبي طالب وابن عمي

(١) - ارشاد القلوب للديلمي ص : ٢٣٣ نقلاً عن كفاية الطالب للكنجي الشافعي .
(٢) - ارشاد القلوب : ٢٦١

فقال الله : يا محمد هذا ملك خلقته على صورة علي يَعْبُدُني في بطنان عرشي ، تُكتب حسناته وتسبيحه وتقديسه لعلي بن أبي طالب إلى يوم القيامة[1] .

*** ١٦ ـ لو اجتمعت الأمة على حب علي بن أبي طالب . . .**

وعن علي (ع) مرفوعاً إلى رسول الله (ص) قال : لما أسري بي إلى السماء لقيتني الملائكة بالبشارة في كل سماء حتى لقيني جبرائيل في محفلة من الملائكة ، فقال يا محمد لو اجتمعت أمتك على حب علي بن أبي طالب ما خلق الله النار[2]

وفي حديث آخر عن عمر بن الخطاب (رض) رفعه إلى الرسول (ص) قال : لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله النار[3].

*** ١٧ ـ أربعة مواطن**

عن علي (ع) رفعه إلى الرسول (ص) قال : إني رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن : فلما بلغت البيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرة بها : لاإله إلا الله محمد رسول الله ، أيدته بعلي وزيره .

---

(١) ـ الجواهر السنية ص : ٢٥٣

(٢) ـ ينابيع المودة للقندوزي ٢ : ٧٥. ارشاد القلوب ص : ٢٣٤

(٣) ـ نفس المصدر ٢ : ٧٥

ولما انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت عليها : إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد صفوتي من خلقي أيدته بعلي وزيره ونصرته به .

ولما انتهيت إلى عرش رب العالمين فوجدت مكتوباً على قوائمه : إني أنا الله لا إله إلا أنا ومحمد حبيبي من خلقي أيدته بعلي وزيره ونصرته به .

وقد نقص الموطن الرابع من الكتاب[1]

أقول : فما دام علي (ع) وزيراً للرسول (ص) فلنبحث في شأن وزارته وتوزيره :

*** همسة حول وزارة علي (ع):**

إن الوزارة المأخوذة من المؤازرة بمعنى المعاضدة على قسمين : وزارة فعلية ووزارة رسمية .

أما الوزارة الفعلية أي الثانية بالفعل فإن التاريخ يبينها لعلي (ع) بالبداهة ولا نحتاج في إثباتها إلى بيان، فإن الناس يعرفون مواقف علي (ع) ومؤازرته لرسول الله (ص) في هجرته

---

(١) ـ ينابيع المودة للقندوزي ٢ : ٨٠ وفي الجواهر السنية التكملة : ولما انتيت إلى باب الجنة وجدت مكتوباً عليه « لا إله إلا أنا وحدي محمد صفوتي من خلقي أيدته بوزيره علي ونصرته به ». ص : ٢٧١ . مشارق انوار اليقين للحافظ رجب البرسي ص : ١١٩ تجد الحديث كاملاً بروايته .

وفي حروبه ومغازيه على صورة أنه لولا علي (ع) لم يتمكن رسول الله (ص) من التبليغ وأداء الرسالة لأن الدين قام بتوجيه محمد (ص) ومال خديجة (ع) وسيف علي (ع)على قول .

ومواقفه يوم بدر وأحد والأحزاب وحنين وخيبر وغيرها من أيام المعارك بين المسلمين والكافرين ، ومواقفه المشرفة لا يجهلها إلا مفرط ضال . هذه المؤازرة الفعلية جرت عليها معاهدة بين النبي (ص) وعلي (ع) على أن يكون لعلي بها الخلافة والوراثة والوصية والأخوة[1] .

وأما الوزارة الرسمية التي هي كوظيفة إلهية جاءت من قبل الله تعالى ومن قبل الرسول (ص)، وأخذ علي (ع) بها مرسوما منصوصا عليه فيه بالوزارة . فهو الذي نحن بصدد إثباته :

---

(١) ـ كما جاء في كتاب (حياة محمد) لصاحبه محمد حسين هيكل الطبعة الأولى ص . ١٠٤ من حديث تحت عنوان « عشيرته الأقربون » الذي قال فيه رسول الله (ص) : .. فأيكم يؤازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ، ووصيي ، وخليفتي فيكم ؟ فأعرضوا عنه وهموا بتركه لكن عليا نهض وما زال صبيا دون الحلم وقال : « أنا يا رسول الله عونك ، أنا حرب على من حاربت [illegible] وتجدر الإشارة أن الحديث موجود في الطبعة الأولى فقط من الكتاب وقد حذف من بقية الطبعات حتى الثالثة عشرة فلماذا ؟؟! وقد تجد الجواب في هامش الصفحة ٤١ من الجزء الثاني من (أعيان الشيعة) للمغفور له السيد محسن الأمين .

١ ـ قد صرح القرآن الكريم بوزارة هارون لموسى ، وثبت بالتواتر أن رسول الله (ص) قال لعلي (ع) : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » فثبت لعلي (ع) من محمد كل ما ثبت لهارون من موسى إلا النبوة التي استثناها رسول الله (ص) بقوله : « إلا أنه لا نبي بعدي » ومنها الوزارة[1] .

٢ ـ عن كنز العمال بالاسناد إلى علي (ع) قال من حديث طويل بعد أنْ جمع الرسول (ص) قومه لابلاغهم ويسمى يوم النذارة : « فأيكم يؤازرني على أمري هذا ؟ فقلت ـ والكلام لأمير المؤمنين ـ وأنا أحدثهم سنا وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، وأخذ برقبتي فقال : « إنّ هذا أخي ، ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ». أخرجه ابن اسحاق وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه ، وابو نعيم والبيهقي في الدلائل وفي تاريخ ابن جرير الطبري كما ذكره المتقي في كنز العمال[2] .

٣ ـ وفي الإصابة : ذكر الخطيب في المؤتلف من طريق القاسم بن خليفة ، حدثنا ابو يحيى التيمى عن اسماعيل بن

---

(١) ـ راجع تعليق الماوردي على ذلك: الاحكام السلطانية ص ٢٤

(٢) ـ راجع : فضائل الخمسة ١ : ٣٣٤ . ـ الغدير للاميني ٢ ٢٧٨ ينابيع المودة ٢/٢٩

ابراهيم عن قطين بن خالد عن أنس بن مالك قال : كنا إذا أردنا أن نسأل رسول الله (ص) عن شيء أمرنا علياً عليه السلام أو سلمان أو ثابت بن معاذ لأنهم كانوا أجرأ أصحابه عليه ، فلما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْح ﴾ فذكر حديثاً في فضل علي (ع) فيه : إنه أخي ووزيري وخليفتي في أهل بيتي وخير من أخلف بعدي »[1] .

٤ ـ وفي الرياض النضرة : عن أسماء بنت عميس قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : اللهم إني أقول كما قال أخي موسى : « اللهم اجعل وزيراً من أهلى أخي علياً أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً ». أخرجه ،أحمد في المناقب[2] .

٥ ـ وفي الدر المنثور للسيوطي : كان رسول الله (ص) على جبل ثم دعا ربه وقال : اللهم أشدد أزري بأخي علي ، فأجابه إلى ذلك[3] . فقوله أشدد أزري بأخي علي أي أشدد ظهري بأخي علي .

٦ ـ وفي نور الأبصار للشبلنجي ، والفخر الرازي في

---

(١) ـ نفس المصدر ١ : ٣٣٥
(٢) ـ نفس المصدر ١ : ٣٣٦
(٣) ـ نفس المصدر ١ : ٣٣٦ .

تفسيره الكبير في ذيل تفسير قوله تعالى : ﴿ إنّما وليُّكُمْ الله وَرَسُولُهُ ﴾[1] من سورة المائدة واللفظ للشبلنجي قال : فرفع رسول الله (ص) طرفه إلى السماء وقال : « اللهم إن أخي موسى سألك فقال : ﴿ ربِّ اشْرحْ لي صدْري ، ويسّرْ لي أمْري ، واحْلُلْ عُقْدة منْ لساني ، يفْقهُوا قـوْلي ، واجْعلْ لي وزيرا منْ أهْلي ، هارُون أخي ، أشْدُدْ به أزْري ، وأشْركْهُ في أمْري ﴾[2] فأنزلت عليه قرانا : : ﴿ سنشُـدُّ عضُدك بـأخيك ونَجْعلْ لكُما سُلْطانا فلا يصلُون إليْكُـما ﴾[3] اللهم وإني نبيك وصفيك ، أللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيرا من أهلي عليا أخي ، أشدد به ظهري »[4]

والأحاديث بذلك من طرق الموافق والمخالف كثيرة وقد اقتصرنا على بعض كتب الخاصة لتكون أبلغ في الحجة ، وأبعد عن التهمة ، وهو مقنع كاف .

وإليك حديثاً من أحاديثنا المستصعبة في الموضوع نفسه :

٦ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله

---

(١) المائدة : ٥٥

(٢) طه : ٢٥ ـ ٣٢

(٣) القصص : ٣٥

(٤) فضائل الخمسة : ١ : ٣٣٧ . الفضائل ص ١٢٤ . ارشاد القلوب : ٢٢٠

صلى الله عليه وآله : ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني ـ وذكر حديثاً طويلاً وصله بحديث المعراج . . . ـ إلى أن قال : فزج بي في النور زجة حتى انتهيت إلى حيث شاء الله من علو ملكه فنوديت :

يا محمد ، فقلت : لبيك رب وسعديك تباركت وتعاليت . فنوديت : يا محمد ، أنت عبدي وأنا ربك ، فإياي فاعبد وعليّ فتوكل فإنك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي على بريتي لك ولمن تبعك خلقت جنتي ولمن خالفك خلقت ناري ، ولأوصيائك أوجبت كرامتي ولشيعتهم أوجبت ثوابي .

فقلت يا رب ومن أوصيائي ؟ فنوديت : يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي . فنظرت وأنا بين يدي ربي إلى ساق العرش فرأيت إثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمتي .

فقلت يا رب : هؤلاء أوصيائي من بعدي ؟ فنوديت : يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي ، وحججي بعدك على بريتي وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك ، وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ولأعلينّ بهم كلمتي ولأطهرن

الأرض بآخرهم من أعدائي ، ولأمكنه مشارق الأرض ومغاربها ، ولأسخرن له الرياح ولأذللن له السحاب الصعاب ، ولأرقينه في الأسباب ، ولأنصرنه بجندي ، ولأمدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي ، ثم لأديمن ملكه ولأدولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة(١) .

* ١٨ ـ علي (ع) الأول والآخر :

ذكر صاحب البحار في المجلد السادس بالإسناد إلى الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال : قال رسول الله (ص) لقد أسرى بي ربي فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى ، وكلمني ، وكان مما كلمني أن قال : يا محمد ، عليّ الأول ، علي الآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . فقال : يا رب أليس ذلك أنت ؟ قال : فقال ؛ يا محمد ، أنا الله لا إله إلاّ أنا الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، إني أنا الله لا إله إلا أنا الخالق البارىء المصور لي الأسماء الحسنى ، يسبح لي من في السموات والأرضين وأنا العزيز الحكيم ، يا محمد إني أنا الله لا إله إلا أنا الأول ولا شيء قبلي وأنا الآخر فلا شيء بعدي وأنا الظاهر فلا شيء فوقي ، وأنا الباطن فلا شيء

---

(١) ـ الجواهر السنية : ٢٤١

تحتي ، وأنا الله لا إله إلا أنا بكل شيء عليم .

يا محمد ، علي الأول : أول من أخذ ميثاقي في الأئمة .

يا محمد ، علي الاخر آخر من أقبض روحه من الأئمة وهي الدابة التي تكلمهم .

يا محمد علي الظاهر ، أظهر عليه جميع ما أوصيته إليك ليس لك أن تكتم منه شيئاً .

يا محمد علي الباطن : أبطنته سري الذي أسررته إليك فليس فيما بيني وبينك سر أزويه يا محمد عن علي ما خلقت من حلال أو حرام إلا علي عليم به .

وفي رواية أخرى فسّر الرسول (ص) كلام الله تعالى كما يلي :

* حديث الشمس :

بالإسناد إلى سلمان الفارسي (رض) أنه قال صلى بنا رسول الله (ص) صلاة الصبح ، فلما سلم قام وقال : أين ابن عمي علي والذي يقضي ديني ، وينجز عدتي ، فأجابه : لبيك لبيك يا رسول الله ، ها أنا بين يديك ، فقال : يا علي أتريد أن أعرفك بفضلك من الله عز وجل فقال : نعم يا حبيبي . فقال . يا علي أخرج إلى صحن المسجد فإذا طلعت

الشمس فكلمها حتى تكلمك قال سلمان : فخرج علي (ع) . إلى صحن المسجد . فلما طلعت الشمس قال لها : السلام عليك أيتها الشمس . قالت : « وعليك السلام يا أول يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ، يا من هو بكل شيء عليم ». قال : فضجت الصحابة بأجمعهم وقالوا : يا رسول الله بالأمس تقول لنا : الأول والآخر صفات الله تعالى ؟ قال : « نعم ، تلك صفات الله وهو الله وحده لا شريك له يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » قالوا : « فما لنا سمعنا الشمس تقول لعلي هذا الكلام ؟ أصار علي رباً يعبد ؟! فقال : « استغفر الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، لكل مقام مقال ، فاستغفروا الله وتوبوا إليه ، أما قولها :

يا أول : فهو أول من آمن بي وصدقني . وأما قولها :

يا آخر : فهو والله آخر من يواريني ويلحدني ، وأما قولها :

يا ظاهر : فهو والله أظهر دين الله بالسيف . وأما قولها :

يا باطن : فهو والله باطن لعلمي . وأما قولها :

يا من هو بكل شيء عليم : فوعزة ربي ما علمني ربي

شيئا إلا علمته عليا وأنه بطرق السماء أعرف منه بطرق الأرض . . . »[1]

فالحديث الأول عن الله سبحانه في البحار مكالمة ، والحديث الثاني عن سلمان في الفضائل عن الرسول مكالمة مع الشمس . والله على كل شيء قدير .

* توضيح :

بما أني خشيت أن تقع في الذي حذرتك منه لذلك أقول موضحاً : إن من الأسماء والصفات ما هي مختصة بالله سبحانه فلا يصح اطلاقها على غيره مثل لفظ : الله ، الرحمن ، الواجب الوجود ، رب العالمين ، خالق الخلق ، . . . الخ .

ومنها ما هي مشتركة بين الله وبين غيره من خلقه ، مثل لفظ : عليم ، كريم ، رحيم ، أول ، آخر ، وما أشبهها . ولا فرق بين هذه الألفاظ المشتركة التي يصح إطلاقها على الله وعلى غيره إلا من حيث المعنى . فإن المقصود من (عليم) حيث تريد به الله سبحانه وتعالى : ذات واجب الوجود ،

---

(١) ـ كتاب الفضائل لشاذان القمي ص : ١٦٣ وراجع ايضاً عن تكلم الشمس مع علي (ع) في جملة احاديث : ينابيع المودة للقندوزي ص : ١٤٠ المناقب للخوارزمي ص : ٦٣ ، ٢٣٦ . ارشاد القلوب للديلمي ص : ٤٧٢

وأطلق عليه (عليم) باعتبار انكشاف المعلومات لديه . والمقصود من (عليم) حيث تريد بها غير الله : ذاتٌ ثبت لها العلم مركباً من جوهر وهو الذات وعرض زائد عليه وهو العلم . والله سبحانه يتعالى عن التركيب وعن كونه جوهراً وعرضاً .

وهذه الألفاظ التي قرأت إطلاقها على عليّ (ع) مثل أول وآخر وظاهر وباطن من الألفاظ المشتركة التي يصح إطلاقها على الله وعلى غيره . فلا تكن من المرتابين فإن ذلك من التوسع في اللغة وتعدد المعاني والألفاظ .

ولعل الحكمة في هذا البيان لمحمد (ص) رفع توهم ذلك في علي (ع) فإنما أريد به نجاة الخلق ، فأشفق أن يكون به ضلالهم ، ونظيره ما أجرى الله تعالى من المعاجز على أيدي أنبيائه ورسله مما لا يقدر عليه غيره ، ثم إنه سبحانه وتعالى لم يمنعهم من أن يُقتلوا ، ويُشرَّدوا ويغلبوا . إذ لو منعهم من ذلك ما أجرى من المعاجزة على أيديهم لظن الناس بهم الألوهية ، فيهلك الناس بهم من حيث اريد نجاتهم فتفضل وتأمل رعاك الله وحفظك .

* ١٩ ـ الولاية لعلي (ع)

عن أبي سلمى راعي إبل رسول الله (ص) قال :

سمعت رسول الله (ص) يقول : ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جل جلاله : . . . يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من شبح نوري ، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات ، وأهل الأرض ، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافرين . . .[1]

عن الاسماخ بن الخزرج قال : قال رسول الله (ص) : ما كلمني ربي ليلة المعراج إلا قال لي : يا محمد . إقرىء علياً مني السلام وعرفه أنه إمام أوليائي ونور من أطاعني . . .[2]

عن أبن عباس قال : قال رسول الله (ص) : لما عرج بي إلى السماء ناداني ربي : « يا محمد ، إني أقسمت بي وأنا والله الذي لا إله إلّا أنا أني أدخل الجنة جميع أمتك إلاّ من أبى ». فقلت : « ربي ومن يأبى دخول الجنة ؟» فقال : « إني اخترتك نبياً ، واخترت علياً ولياً ، فمن أبى عن ولايته فقد أبى دخول الجنة ، لأن الجنة لا يدخلها إلا محبّه ، وهي محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلي وفاطمة وعترتهم وشيعتهم ». فسجدت لله شكراً . ثم قال لي : « يا محمد ، إنَّ علياً هو الخليفة

---

(١) فرائد السمطين ٢ : ٣٢٠

(٢) - مشارق انوار اليقين للحافظ رجب البرسي ص : ٥٤ . والجواهر السنية ص : ٢٦٩

بعدك ، وإن قوماً من أمتك يخالفونه ، وإن الجنة محرمة على من خالفه وعاداه ، فبشر عليا : أن له هذه الكرامة مني ، وأني سأخرج من صلبه أحد عشر نقيباً منهم سيد يصلي خلفه المسيح بن مريم ، يملأ الأرض عدلاً وقسطا كما ملئت ظلما وجوراً . . . »[1] .

* همسة حول الولاية :

الوَلاية : بالفتح تكون بمعنى التولية ، وعليه قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لله ﴾[2] يعني يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرؤون ممن كانوا يعبدون . وقوله تعالى ﴿ ما لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾[3] أي من توليتهم الميراث . وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة . وتكون بمعنى النصرة كما في اللسان وتكون بمعنى المحبة أيضا .

الوِلاية : بالكسر تكون بمعنى الإمارة مصدر : وليت . وتكون بمعنى التولية والسلطان ، وقرائن الأحوال ومواضع الاستعمال تعين المقصود وتميز عما عداه .

الولي : بمعنى الأولى والأحق ، وهذه الأولوية والأحقية

---

(۱) ـ نفس المصدر ص . ٧٤

(٢) ـ الكهف ٤٤

(٣) ـ الانفال . ٧٢

قد يعبر عنها بلفظ الولي ، وقد يعبر عنها بلفظ الأولى وقد يعبر عنها بلفظ الولاية :

فمن مجيئها بلفظ الولي قوله تعالى ﴿ إنّما وَليُّكُمُ الله ورسُولُهُ والّذين امنُوا . . . ﴾[1]

ومن مجيئها بلفظ الأولى قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أوْلَى بِالْمُؤْمنين منْ أنْفُسِهِمْ . . . ﴾[2] ولما نزلت قال بعض المسلمين : يا رسول الله ! ما هذه الولاية التي جعلها الله لك علينا ؟ فقال (ص) « السمع والطاعة فيما أحببتم وكرهتم » فقالوا : « سمعنا وأطعنا » فأنزل الله سبحانه ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عليْكُمْ وميثاقهُ الّذي وَاثقكُمْ بِهِ إذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وأطعْنا . . . ﴾[3] فإنك ترى من الآية التعبير عن هذه الأولوية بالأولى وترى من الحديث التعبير عن هذه الأولوية بالولاية ومن مجيئها بلفظ المولى : قول رسول الله (ص) يوم الغدير وقد صعد المنبر آخذاً بيد علي (ع) قائلا : « ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : اللهم بلى . فقال : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » والحديث مشهور .

---

(١) ـ المائده : ٥٥

(٢) ـ الأحزاب : ٦

(٣) ـ المائدة : ٧

وقد شرح الشبلنجي معنى المولى قائلا .

والمولى : « يستعمل بإزاء معان متعددة ورد بها القران العظيم فتارة يكون بمعنى أولى قال الله تعالى في حق المنافقين مأواكم النار هي مولاكم أي أولى بكم . وتارة بمعنى الناصر : قال الله تعالى ﴿ ذلك بأنّ الله موْلى الّذين امنُوا وأنّ الْكافرين لاَ موْلى لهُمْ ﴾ وبمعنى الوارث : قال الله تعالى : ﴿ ولكُلٍّ جعَلْنا موَاليَ ممَّا ترَكَ الْوالدان والأقْربُون ﴾ أي ورثة وبمعنى العصبة : قال تعالى : ﴿ وإنّي خفْتُ الْموالي منْ ورائي . . ﴾ أي عصبتي وبمعنى الصديق قال الله تعالى : ﴿ يوْم لا يُغْني موْلىً عنْ موْلىً شيْئاً ﴾ أي صديق عن صديق وبمعنى السيد وهو ظاهر فيكون معنى الحديث من كنت مولاه فعلي مولاه ومن كنت ناصره أو حميمه أو صديقه أو سيده فإن علياً كذلك »[1]

فواضح للذي لا يعاند أن الرسول (ص) بقوله هذا جعل علياً (ع) أولى بأمور المسلمين بعده من أنفسهم وإلى هذا المعنى يشير الكميت الشاعر بقوله في علي (ع)

ونـعـم ولي الأمـر بـعـد ولـيـه
ومنتجـع التـقـوى ونعـم المقـرّب

---

(١) ـ نور الأبصار ص ٧٨

فعلي (ع) ولي الله بمعنى : المنصوب من قبل الله سبحانه وليا كنبي الله المنصوب من قبل الله نبيا . وعلي (ع) ولي المسلمين ، أي أولى بالمؤمنين والمسلمين من أنفسهم ، وسر الله سبحانه في علي (ع) أن من أحبه ومات مظلوماً شريداً وحيداً دخل الجنة كأبي ذر مثلا . ومن أبغضه ونبذه كفر فأنعم الله عليه بالرياسة والدنيا حتى إذا فرح طعنه الله على يد شقي من كلاب أهل النار أو صبر عليه حتى إذا غرته الرياسة في الدنيا - وهي أم الكبائر - أخذ بغتة من حيث لا يشعر أو أمْهله كما فعل بيزيد ربيب القرود والفهود .

* ٢٠ - علي (ع) والأئمة (ع) في السماء

أسند موفق بن أحمد الخوارزمي إلى أبي سلمى راعي رسول الله (ص) قال : قال رسول الله (ص) : قال لي الرب عز وجل في الإسراء : من خلّفت لأمتك قلت خيرها . قال علي بن أبي طالب ؟ قلت نعم . فقال تعالى : خلقتك وعلياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نوري لو أن عبداً جاحداً لولايتكم عبدني حتى ينقطع ، ما غفرت له، حتى يقر بولايتكم ثم أراني على يمين العرش : علياً ، وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي

وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والمهدي في ضحضاح من نور[1]

لا يخفى على القارىء المتسائل أنّ هؤلاء امثلتهم ويحتمل أنهم ملائكة خلقهم الله على صورهم وأشكالهم تعريفنا بهم قبل وجودهم ودلالة عليهم قبل ولادتهم .

*** ٢١ ـ إن الله تعالى سمّى علياً (ع) أمير المؤمنين**

عن أمير المؤمنين (ع) قال : قال رسول الله (ص) : لما اسري بي إلى السماء ، كنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى فأوحى إليَّ ربي ثم قال : يا محمد إقرأ على علي بن أبي طالب أمير المؤمنين السلام ، فما سميت بهذا أحداً قبله ولا أسمي به أحداً بعده[2] .

*** ٢٢ ـ وتحادثا . . .**

عن ابن عباس عن رسول الله (ص) أن الله تعالى كلمه ليلة الإسراء فقال : يا محمد إني جعلت علياً وصيك ووزيرك وخليفتك من بعدك ، فأعلمه فها هو يسمع كلامك ، فأعلمته وأنا بين يدي ربي . . . إلى أن قال (ص) ثم قال الله : يا محمد

---

(١) ـ الصراط المستقيم للبياضي العاملي ٢ : ١٤٣ الجواهر السنية ص ٠ ٢٨٥

(٢) ـ الجواهر السنية ص : ٢٦٢

انظر تحتك ، فنظرت فإذا أبواب السماء قد فتحت ونظرت إلى علي وهو رافع رأسه إليّ فكلمني وكلمته[1]

* ٢٣ ـ حقوقه (ع) على الخلق

عن الصادق (ع) عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال رسول الله (ص) : لما أسري بي إلى السماء وانتهى بي إلى حجب النور كلمني ربي فقال لي : يا محمد بلغ علي بن أبي طالب مني السلام وأعلمه أنه حجتي بعدك على خلقي ، به أسقي العباد الغيث وبه أدفع عنهم السوء ، وبه أحتج عليهم يوم يلقوني ، فإياه فليطيعوا ولأمره فليأتمروا وعن نهيه فلينتهوا ، أجعلهم عندي في مقعد صدق ، وأبيح لهم جناني . وإلا يفعلوا أسكنهم ناري مع الأشقياء من أعدائي ثم لا أبالي[2] .

* ٢٤ ـ علي (ع) وزير رسول الله (ص) من رواية الشيخ الصدوق

عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله (ص) من حديث طويل : . . . إن الله تبارك وتعالى أسرى بي وأسمعني وقال : يا محمد أنا المحمود وأنت محمد ، شققت إسمك من إسمي ، فمن وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته ، إنزل إلى

---

(١) ـ الجواهر السنية ص : ٢٦٤ وبلفظ مختلف أمالي الطوّي ١٠٣ .

(٢) ـ نفس المصدر ص : ٢٧٥

عبادي فأخبرهم بكرامتي إياك ، وإني لم أبعث نبيا إلا جعلت له وزيراً ، وإنك رسولي ،وإن علياً وزيرك[1] .

* ٢٥ ـ علي (ع) ولي الله وحبيب الله

عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : لما عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة : لا إله إلّا الله ، محمد رسول الله ، علي حبيب الله . . .[2]

عن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص): لما أسري بي إلى السماء ، رأيت على باب الجنة مكتوباً : لا إله إلا الله محمد حبيب الله ، علي ولي الله . . .[3]

* ٢٦ ـ لعلي (ع) قصر في الجنة

عن عبد الله بن سعد بن زرارة الأنصاري عن أبيه قال : قال رسول الله (ص): لما عرج بي إلى السماء ، انتهى بي إلى قصر من لؤلؤ فيه فراش من ذهب يتلألأ ، فأوحى إلي أو أمر بي في علي بثلاث خصال : إنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين[4] .

---

(١) ـ امالي الصدوق ص : ٢٩١

(٢) ـ فرائد السمطين ٢ : ٧٤

(٣) ـ نفس المصدر في الهامش ص ٢ : ٧٤ نقلاً عن مقتل الحسين للخوارزمي .

(٤) ـ ترجمة علي (ع) من كتاب ابن عساكر ٢ : ٢٥٨

ولقد مرّ الحديث ولكن بصيغة مختلفة ، ومن مصدر آخر فتدبر »

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله (ص) لما عرج بي إلى السماء ، انتهى بي المسير مع جبرائيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر . فقال جبرائيل : « هذا البيت المعمور ، قم يا محمد فصلّ إليه » قال النبي (ص) جمع الله النبيين فصفوا ورائي صفاً فصليت بهم . فلما سلمت أتاني آت من عند ربي فقال : يا محمد . ربُّك يقرئك السلام ويقول لك : سل الرسل على ما أرسلتم من قبلك فقلت : « معاشر الرسل ! على ماذا بعثكم ربي قبلي ؟» فقالت الرسل : « على نبوتك وولاية علي بن أبي‌طالب ». وهو قوله ﴿ **واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا** ﴾[1] الآية[2] .

*** ٢٧ ـ مفتاح الفوز بالجنة ولاية علي (ع) :**

قال الحافظ البرسي : ومن كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي مرفوعاً إلى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله (ص): مكتوب على باب الجنة : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، علي أخوه ولي الله ، أخذت ولايته على الـذر قبل خلق

(١) ـ الزخرف : ٤٥

(٢) ـ ينابيع المودة للقندوزي ١ : ٨٠ و٢ : ٦٢

السماوات الأرض بألفي عام ، مَنْ سَرَّه أن يلقى الله ، وهو عنه راض فليوال علياً وعترته ، فهم نُجبائي وأوليائي وخلفائي وأحبائي »[1]

* ٢٨ ـ علي (ع) حبيب رسول الله (ص):

عن أنس قال : قال رسول الله (ص): لما عرج بي إلى السماء ثم دنوت من ربي قال : يا محمد . من تحب من الخلق ؟ قلت : يا رب علياً ، قال : التفت يا محمد ، فالتفت عن يساري فإذا علي بن أبي طالب[2] .

أقول : ثبت الله جنانك وشرح صدرك لفقه القول ومعنى اللفظ ، ومضمون الحديث : يعني أنه رآه في الارض ، فإن الله كشف الغطاء بينهما حتى تحادثا كما ورد في غيره من الأحاديث ، والاستفهام هنا غير جار على حقيقته بل لا يصدر من الله استفهام حقيقي ، وهذا نظير قوله تعالى ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ [3] لذلك هدىء من روعك فالله قادر ومحمد (ص) عظيم عند الله قدره ، جليل أمره ، رفيع مكانه ومقامه وعلي من الرسول (ص) كهارون من موسى ولا أظنك نسيت . . . !

(١) ـ الجواهر السنية ص : ٣٠٤ وينابيع المودة للقندوزي ٢ : ٣١
(٢) ـ الجواهر السنية ص : ٢٦٠
(٣) ـ طه : ١٧

* ٢٩ ـ علي (ع) معروف في السماء .

عن أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري مرفوعاً للرسول (ص) لما أسري بي إلى السماء ، مررت بملك جالس على سرير من نور وإحدى رجليه في المشرق والأخرى في المغرب ، وبين يديه لوح ينظر فيه فقلت : يا جبرائيل من هذا ؟ قال : هذا عزرائيل ، فسلمْ عليه . فسلمت عليه فقال : وعليك السلام يا أحمد . ما يفعل ابن عمك علي ؟ فقلت : « تعرفه ؟» . فقال : « كيف لا أعرفه وقد وكلني الله تعالى بقبض أرواح الخلائق ، إلا روحك ، وروح ابن عمك علي ، فالله يتوفاكما بمشيئته »[1]

أقول : لم ينته القول فيما رأى رسول الله (ص) بشأن علي (ع) لان الاحاديث بشأنه عن الرسول كثيرة والأحاديث في فضله أكثر من أن تحصى في هذه العجالة « وبالجملة فتعداد فضائله ومناقبه ومكانته في العلم والفهم والاستقامة والشجاعة والشهامة والفراسة الصادقة والكرامات الخارقة وشدته في نصر الاسلام ورسوخ قدمه في الإيمان وسخائه وصدقه مع ضيق الحال وشفقته على المسلمين ، وزهده وتواضعه وتحمله وتفاصيل ذلك باب واسع يحتمل مجلدات ولذلك قال الإمام

---

(١) ـ ينابيع المودة ص : ٢ : ٣٠

أحمد بن حنبل والقاضي اسماعيل بن اسحق وأبو علي النيسابوري والنسائي ؛ لم نرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضل علي بن أبي طالب . قال السيد السمهودي في جواهر العقدين : والسبب في ذلك ، والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه (ص) على ما يكون بعده مما ابتلي به علي رضي الله عنه وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته »[1] .

* ٣٠ ـ جارية من جواري علي بن أبي طالب (ع) في الجنة

عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : ليلة أسري بي إلى السماء ، دخلت الجنة فرأيت نوراً ضرب وجهي . فقلت لجبرائيل ما هذا النور الذي رأيته ؟ قال : يا محمد . ليس هذا نور الشمس ولا نور القمر ، ولكن جارية من جواري علي بن أبي طالب (ع) اطلعت من قصورها ، فنظرت إليك وضحكت ، فهذا النور خرج من فيها . وهي تدور في الجنة إلى أن يدخلها أمير المؤمنين عليه السلام[2] .

---

(١) ـ نور الأبصار للشبلنجي ص : ٨١

(٢) ـ المناقب للخوارزمي ص : ٢٢٨

*** ٣١ ـ الشوق . . .**

وعن ابن عباس مرفوعاً : ما مررت بسماء إلا وأهلها يشتاقون إلى علي بن أبي طالب وما في الجنة نبي إلا وهو يشتاق إلى علي[١] .

(١) ـ ينابيع المودة ٢ : ٤٠

الفصل السادس

فيما رأى رسول الله (ص) بشأن فاطمة (ع)

* فيما رأى رسول الله (ص) بشأن فاطمة (ع)

لقد كان في بيت رسول الله (ص) بنات من خديجة غير فاطمة حسبما يذكر التاريخ وكثير من الأخبار والأحاديث . إلا أنه لم يكن لرسول الله (ص) بنات من خديجة (رض) غير فاطمة الزهراء (ع). ولم يكن لأحد منهن ما كان لفاطمة من الخصائص والكرامات . وذلك لعلم الله سبحانه بأنها النسلة المباركة ، والصديقة الطاهرة ، وأنها هي التي يكون منها الأئمة الأحد عشر ، وأن كل ذرية رسول الله (ص) من علي وفاطمة عليهما السلام .

ولقد علم الله ذلك فكانت فاطمة كما علم الله ، وكما اختار لها أن تكون ، وكان رسول الله (ص) شديد العناية بها ولقد رأى من الله تعالى بشأنها في معراجه ما رأى :

* فاطمة حوراء إنسية

عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ما لك إذا قبلت

فاطمة ، أدخلت لسانك في فيها كأنك تلعقها في العسل ؟!
فقال النبي (ص): يا عائشة ليلة أسري بي إلى السماء، فأدخلني جبرائيل عليه السلام الجنة، ناولني تفاحة فأخذتها فأكلتها ، فصارت نطفة ونورا في صلبي ، فنزلت فواقعت خديجة ، ففاطمة منها ، فكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها . يا عائشة : فاطمة حوراء إنسية[1] .

وفي رواية عن عائشة قالت : كنت أرى النبي (ص) كثيراً ما يقبل نحر فاطمة ، فقلت : يا رسول الله : رأيتك تفعل شيئاً ما رأيتك تفعله مع أحد! فقال لي: يا حميراء! إنه لما كان ليلة أسري بي إلى السماء، وكّل الله عز وجل بي جبرائيل فأوقفني على شجرة من شجر الجنة. لم أر في الجنة شجراً هي أنضر منها ورقة ، ولا أحسن منها لونا، ولا أطيب منها رائحة، فتناولت ثمرة من ثمرها ، فأكلتها ، فصارت نطفة في صلبي . فلما هبطت إلى الأرض ، واقعت خديجة ، فحملت بفاطمة ، فإذا اشتقت إلى رائحة الجنة فشممت فاطمة . يا حميراء ! إن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتلّ كما يعتللن . . . »[2]

ويحدثنا صاحب (كشف الغمة) عن مصادره يقول من

---

(١) ـ فرائد السمطين ٢ : ٥١ . نور الأبصار للشبلنجي ص : ٤٤
(٢) ـ فرائد السمطين ٢ : ٦١ : « ويؤيد اللفظ الأخير من الرواية ما رواه النسائي بلفظ مختلف في الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ١٧٦ »

حديث المعراج عن الرسول (ص) اقتصرت منه على موضع الحاجة : قال الرسول (ص) : « ثم تقدمت أمامي فإذا برطب ألين من الزبد الزلال ، وأحلى من العسل . فأكلت رطبة منها وأنا أشتهيها ، فتحولت الرطبة نطفة في صلبي . فلما هبطت إلى الأرض ، واقعت خديجة ، فحملت بفاطمة . ففاطمة حوراء إنسية . فإذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها . . . »[1]

وعن عائشة قالت : يا رسول الله : ما لك إذا قبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها عسلاً ؟! فقال : لما أسري بي إلى السماء ، أدخلني جبرائيل الجنة فناولني تفاحة ، فأكلتها ، فصارت نطفة في ظهري ، فلما نزلت من السماء ، واقعت خديجة . ففاطمة من تلك النطفة ، فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها . أخرجه ابو سعد في شرف النبوة[2] .

وعن ابن عباس : كان النبي (ص) يكثر القُبلة لفاطمة

---

(١) ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة للاربلي ٢ : ٨٥
« إن الرسول (ص) قال : إبنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث . . » اسعاف الراغبين للصبان ص : ١٧٢ بهامش نور الأبصار للشبلنجي . عيون اخبار الرضا ١/٩٤

٢) ـ ينابيع المودة للقندوزي ٢ : ٢٣ ونور الأبصار ص : ٤٤ ذخائر العقبى : ٣٦

(ع) فقلت له : إنّك تكثر تقبيل فاطمة فقال : إن جبرائيل أدخلني الجنة ليلة أسري بي إلى السماء فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءً في صلبي فحملت خديجة بفاطمة فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من تقبيلها رائحة جميع تلك الثمار التي أكلتها . . . »[1]

يتبين لك من ظاهر مضامين الأحاديث الانفة الذكر أنّ الرسول (ص) قبّل فاطمة في نحرها ، وأدخل لسانه في فيها ، وأكل تفاحة من الجنة ، ومرة ثمرة ، ومرة من جميع ثمارها ، ومرة رطبة ، ومرة كلما اشتاق إلى الجنة أو إلى رائحة الجنة ، أو إلى تلك التفاحة الفردوسية ، أو إلى ثمار الجنة ، قبّل فاطمة . وفي حديث عن الرسول (ص) قال : إني إذا اشتقت إلى الجنة قبّلت نحر فاطمة . وإذا سافر كان آخر عهده بإنسان فاطمة وأول من يدخل عليه كان فاطمة ، وإذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم أتى فاطمة . . . الخ فأقول :

لا تباين ولا تنافي بين الأحاديث وذلك أن شجرة طوبى[2] في الجنة مثلاً تحمل أنواعاً من الأثمار . والجنة كما هو

---

(١) ـ نفس المصدر ٢ : ٢٢ ذخائر العقبى ص : ٣٦

(٢) ـ طوبى : « شجرة غرسها الله تبارك وتعالى بيده ونفخ فيها من روحه ، تنبت بالحلي والحلل وان أغصانها لترى من وراء الجنة » راجع ينابيع المودة ص : ٩٤ و٢ : ١٣١ (في تفسير الثعلبي عن الباقر (ع) .) .

معلوم من القرآن العظيم ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ . . ﴾[1] فجاز أن يكون المأكول فيها .

وفي ذلك يقول أبو محمد المنصور بالله الميمني في غديريّته :

حورية إنسية سيّاحة
خلقها الله من التفاحة[2]

ولا ينافي أن تكون مخلوقة منها أو من الرطبة ، أو من غيرها ﴿ فتبارك الله أحْسنُ الخالقين ﴾[3] .

* لفاطمة (ع) سبعين قصرا في الجنة

وعن أبي سعيد الخدري (رض) أن الرسول (ص) مرّ في السماء السابعة قال : فرأيت فيها لفاطمة بنت محمد سبعين قصرا من مرجان أحمر ، مكللا باللؤلؤ ، أبوابها وأسرّتها من عود واحد . . .[4]

* فاطمة (ع) خيرة الله :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) ليلة عرج بي

---

(١) ـ الزخرف : ٧١
(٢) ـ الغدير للاميني ٥ : ٤١٩
(٣) ـ المؤمنون : ١٤
(٤) ـ نور الأبصار للشبلنجي ص : ٤٦

إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، عليّ حُبّ الله والحسن والحسين صفوة الله فاطمة خيرة الله على باغضهم لعنة الله[1] .

* ما رأى الرسول (ص) بشأن خديجة (ع)

عن أبي سعيد الخدري (رض) أنّ الرسول (ص) « مرّ في السماء السابعة فقال : فرأيت فيها لمريم ولأم موسى ولاسية إمرأة فرعون ولخديجة بنت خويلد قصورا من ياقوت . . . »[2]

فخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم . ولدت سنة ٦٨ قبل الهجرة وأزواجها : أبو هالة بن زرارة التيمي ، وعتيق بن عائد المخزومي وهناك من يقول أن الرسول (ص) تزوج بها عذراء . بدليل أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة . تزوجها الرسول (ص) وعمره الشريف خمس وعشرون سنة وعمرها أربعون سنة ، وأولادها القاسم ، وعبد الله (يقال له الطيب والطاهر لولادته بعد النبوة) وبناتها : زينب وأم كلثوم وفاطمة ورقية .

وكانت أكثر قريش مالاً وكان أهل مكة يتجرون بأموالها

---

(١) ـ فضائل الخمسة ٣ : ١٤٨ نقلاً عن تاريخ بغداد .
(٢) ـ نور الأبصار للشبلنجي ص : ٤٦

قبل زواجها بالرسول (ص) ثم وهبته صلوات الله عليه جميع ما تملك ، فكانت هذه الثروة الطائلة من مقومات الدعوة الإسلامية . لُقّبت بالطاهرة وهي أول امرأة أسلمت وهي أقرب أزواجه عليه السلام إليه نسبا ولم يتزوج (ص) غيرها في حياتها ، إكراماً لها وتعظيما لشأنها وتوفيت في شهر رمضان من السنة العاشرة من البعثة وبعد وفاة أبي طالب (ع) بثلاثة أيام . ودفنها صلى الله عليه وآله في الحجون وأدخلها بنفسه القبر وسمى عام وفاتها عام الأحزان وعمرها ٦٥ سنة[١] .

وخير ما قيل عنها وما قاله الدكتور علي ابراهيم حسن : إذا أردنا مثالاً للزوجة المخلصة الصالحة ، والمرأة الرزينة العاقلة ، فقد لا نجد خيراً من خديجة أم المؤمنين »[٢]

« قال رسول الله (ص) : أريت لخديجة بيتاً من قصب لا صخب فيه ولا نصب »[٣] .

ولو أردت استقصاء ما ورد من نصوص في فضل السيدة خديجة لضاق بي المجال وإنما اقتصرت على بعض ما رأى رسول الله بشأنها في معراجه ضمن المصادر التي ذكرتها

(١) ـ راجع أم المؤمنين خديجة بنت خويلد لعلي دخيل ص : ١١
(٢) ـ نفس المصدر ص : ٤٣
(٣) ـ كشف الغمة للاربلي ٢ : ١٣٨ وشرح في هامش الصفحة : قال ابن هشام : القصب ههنا : اللؤلؤ المجوف

دون الرجوع إلى ما تضمنه الصحيحان وحلية الأولياء وتاريخ بغداد وأعلام النساء وآمل في الطبعة الثانية لهذا الكتاب أن أكون قد زودتك ببعض ما اقتصرت عنه في هذه الطبعة والله ولي التوفيق .

الفصل السابع

في بيان آراء محمد "ص" بشأن الصلاة والآذان

* الأذان :

عن معاني الأخبار بالإسناد إلى محمد بن الحنفية أنه ذكر عنده الأذان فقال : « لما أسري بالنبي (ص) إلى السماء تناهى إلى السماء السادسة ، نزل ملك من السماء السابعة ، لم ينزل قبل ذلك اليوم قط فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، فقال الله جل جلاله : أنا كذلك ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله . فقال الله عز وجل : أنا كذلك لا إله إلا أنا ، فقال : أشهد أن محمداً رسول الله . قال الله جل جلاله ، عبدي ، وأميني على خلقي ، اصطفيته على عبادي برسالاتي . ثم قال ، حي على الصلاة . قال الله جل جلاله : فرضتها على عبادي . وجعلتها لي دينا . ثم قال : حيّ على الفلاح . قال الله جل جلاله : أفلح من مشى إليها ، وواظب عليها ابتغاء وجهي ثم قال : حي على خير العمل . قال الله : جل جلاله : هي أفضل الأعمال

وأزكاها عندي . ثم قال : قد قامت الصلاة . فتقدم النبي (ص) فأم أهل السماء ».[1]

وفي علل الشرائع للشيخ الصدوق بالإسناد إلى عمرو بن أذينة : عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) من حديث قال : « يا عمرو بن أذينة ! ما ترى هذه الناحية في أذانهم وصلاتهم ؟ فقلت : جعلت فداك ! إنهم يقولون : إنّ أبي بن كعب الأنصاري رآه في النوم . فقال : كذبوا والله ! إن الله تبارك وتعالى أعز من أن يرى في النوم . وقال أبو عبد الله عليه السلام إن الله العزيز الجبار عرج بنبيه (ص) إلى سمائه سبعاً . أما أولهن فبارك عليه والثانية علمه فيها فرضه . . . »[2]

وعن علي (ع): « أن رسول الله (ص) عُلّم الأذان ليلة أسري به وفرضت عليه الصلاة »[3]

* همسة حول الأذان

المقصود هنا بيان مشروعية الأذان فقط ، لا بيان حدوده وقيوده . ولذلك ترى في حديث محمد بن الحنفية الاقتصار على مرة مرة لأن القصد بيان التشريع . أما بيان تحديد الأذان

---

(١) ـ معاني الأخبار ص : ٤٢

(٢) ـ علل الشرائع ص : ٣١٢

(٣) ـ الخصائص الكبرى للسيوطي ١٦٤/١

وقيوده ، وما يلزم فيه ، فإنه موكول إلى بيانات أخرى ، وقد جاءت مفصلة على ما نحن عليه اليوم .

* الصلاة

قال الامام أبو عبد الله الصادق (ع) فيما يرويه صاحب علل الشرائع ، بالإسناد إلى محمد بن حمزة وقد سأله : لأي علة يجهر في صلاة الفجر ، وصلاة المغرب ، وصلاة العشاء الاخرة ، وسائر الصلوات مثل الظهر والعصر لا يجهر فيها ؟ ولاي علة صار التسبيح في الركعتين الأخيرتين أفضل من القران فقال (ع) لأن النبي (ص) لما أسري به إلى السماء كان أول صلاة فرضها الله عليه صلاة الظهر يوم الجمعة . فأضاف الله تعالى إليه الملائكة تصلي خلفه ، وأمر الله عز وجل نبيه أن يجهر بالقراءة ، ليبين لهم فضله . ثم افترض عليه العصر ، ولم يضف إليه أحدا من الملائكة . وأمره أن يخفي القراءة لأنه لم يكن وراءه أحد . ثم افترض عليه المغرب ثم أضاف إليه الملائكة ، فأمره بالإجهار ، وكذلك العشاء الأخرة.فلما كان قرب الفجر ، افترض الله تعالى عليه الفجر ، فأمره بالإجهار ، وليبين للناس فضله كما بين للملائكة . فلهذه العلة يجهر فيها »

فقلت « لاي شيء صار التسبيح في الأخيرتين ، أفضل من القراءة ؟» قال : لأنه لما كان في الأخيرتين ، ذكر ما يظهر

من عظمة الله عز وجل فدهش وقال : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله اكبر ». فلذلك العلة صار التسبيح أفضل من القراءة »[1]

وقال الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر (ع) فيما رواه في علل الشرائع بالإسناد إلى اسحاق بن عمار ، وقد سأله فقال : « كيف صارت الصلاة ركعتين وسجدتين ؟ وكيف إذا صارت سجدتين لم تكن ركعتين ؟

فقال (ع) : « إذا سألت عن شيء ففرغ قلبك تفهم : إنّ أول صلاة صلاها رسول الله (ص) إنما صلاها في السماء بين يدي الله تبارك وتعالى قال : يا محمد ! أدنُ من صاد ، فاغسل مساجدك وطهرها وصلّ لربك ، فدنا رسول الله (ص) إلى حيث أمره الله تبارك وتعالى . فتوضأ فاسبغ وضوءه ، ثم استقبل الجبار تبارك وتعالى قائماً[2] . فأمره بافتتاح الصلاة . ففعل ، فقال يا محمد . إقرأ ﴿ بِسْمِ الله الرَّحْمن الرَّحيم ، الحَمْدُ لله ربِّ الْعالمين . . . ﴾ إلى اخرها ، ففعل ذلك . ثم أمره : أن يقرأ نسبة ربه تبارك وتعالى : ﴿ بِسْمِ الله الرَّحْمن الرَّحيم قُلْ هُوَ الله أَحدْ * الله الصَّمدْ . . . ﴾ فقال : قل ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحدُ ﴾ فأمسك عنه القول . فقال

(١) ـ علل الشرائع ص : ٣٢٣

(٢) ـ يعني توجه للبيت المعمور فالله سبحانه لا يحد بمكان !

رسول الله (ص) كذلك الله ربي ، كذلك الله ربي . فلما قال ذلك قال : إركع يا محمد لربك . فركع رسول الله (ص) . فقال له وهو راكع : قل : « سبحان ربي العظيم وبحمده » ففعل ذلك ثلاثا . ثم قال : « إرفع رأسك يا محمد ، ففعل ذلك رسول الله (ص) فقام منتصبا بين يدي الله عز وجل . فقال : أسجد يا محمد لربك . فخر رسول الله (ص) ساجدا . فقال : قل : « سبحان ربي الأعلى وبحمده » ففعل ذلك رسول الله (ص) ثلاثا . فقال له : « إستوِ جالساً يا محمد . ففعل . فلما استوى جالساً ، ذكر جلال ربه جلَّ جلاله . فخرَّ رسول الله (ص) ساجداً من تلقاء نفسه لا لأمر أمره ربه عز وجل فسبح أيضاً ثلاثا . فقال : « انتصب قائماً . ففعل . فلم ير ما كان رأى من عظمة ربه جل جلاله . فقال له : « إقرأ يا محمد ، وافعل كما فعلت في الركعة الأولى » ففعل ذلك رسول الله (ص) ثم سجد سجدة واحدة . فلما رفع رأسه ، ذكر جلالة ربه تبارك وتعالى الثانية ، فخر رسول الله (ص) ساجدا من تلقاء نفسه لا لأمر أمره ربه عز وجل فسبح أيضا ثم قال له : « ارفع رأسك ، ثبتك الله ! واشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت

ومننت على إبراهيم وآل ابراهيم . إنك حميد مجيد . اللهم تقبل شفاعته في أمته ، وارفع درجته » ففعل فقال الجبار : يا محمد بنعمتي قويتك على طاعتي وبعصمتي إياك ، اتخذتك نبياً وحبيباً » .

ثم قال أبو الحسن (ع) : « وإنما كانت الصلاة التي أمر بها ركعتين وسجدتين ، وهو صلى الله عليه واله ، وإنما سجد سجدتين في كل ركعة مما أخبرتك ، من تذكره لعظمة ربه تبارك وتعالى فجعله الله عز وجل فرضاً »[1]

* همسة :

يظهر مما سبق أمور :

١ ـ إنَّ أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه واله في السماء بين يدي الله تعالى ، وأنه هو الذي علمه ذلك وأنها صلاة الظهر .

٢ ـ كان الرسول (ص) ينقطع للعبادة في غار حراء ، والعبادة غير محصورة في الصلاة ، بل الصلاة كانت في الشرائع السابقة عبارة عن دعاء . وما مرّ يدل : على أن أول صلاة صلاها بهذه الكيفية في السماء .

(١) ـ علل الشرائع ص : ٣٣٤ . الجواهر السنية : ص . ١٢٣ باختلاف يسير

٣ ـ وعروج رسول الله (ص) إلى السماء ، لم يكن مرة واحدة ، بل كان مرات عديدة كما أثبتنا ذلك من قبل . فمن الجائز أن يكون ما في المضامين السابقة إعلام عما جرى في أول عروج ، وأنه كان ذلك في أول البعثة فلا منافاة .

٤ ـ اختلف في التشهد والتسليم . وهذا الاختلاف إنما هو في الإجمال والبيان ، وذلك أنّ المتكلم : تارة يكون بصدده بيان كل ماله دخل في غرضه فيبينه ، وتارة لا يكون بصدد ذلك فيهمله . ومنه ينشأ الاختلاف بين الأحاديث في الإجمال والبيان .

والقاعدة الأصولية المتبعة في مثل هذا : حمل المجمل على المبني ولنا على ما نحن عليه من العمل والتشهد أدلة مفصلة مبينة ويمكن الرجوع إليها في مختلف كتب الفقه ، فإذا كنت مجتهداً فاستنبط القواعد الشرعية من مواطنها الصحيحة وإلاّ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون !!؟؟

* * *

الفصل الثامن

أخلاق وعبادات

* أدعية مستجابة

قال رسول الله (ص) إني لما أسري بي انتهيت إلى السماء السابعة ، فتح لي بصري إلى فرجة في العرش تفور كفور القدر ، فلما أردت الإنصراف ، أقعدت عند تلك الفرجة ، ثم نوديت :

● لمن عمل كبيرة :

يا محمد ، قل لمن عمل كبيرة من أمتك فأراد محوها والطهرة منها ، فليطهر لي بدنه وثيابه ، وليخرج إلى برية أرضي ، فليستقبل وجهي ـ يعني القبلة ـ حيث لا يراه أحد ، ثم ليرفع يديه إليّ فإنه ليس بيني وبينه حائل ، وليقل :

« يا واسعاً يا حَسَناً عائدتُه ، يا مُلْتَمساً فضلُ رحمته ، ويا متهيباً لشدة سلطانه ، ويا راحماً بكل مكان ، ضرير أصابه الضر فخرج إليك مستعيذاً بك ، هائباً لك ، يقول : عملت

سوءاً ، وظلمت نفسي ، ولمغفرتك خرجت إليك ، أستجير بك في خروجي من النار ، وبعزّ جلالك تجاوزت وباسمك الذي تسميت به وحولته في عظمتك ومع كل قدرتك ، وفي كل سلطانك وصيّرته في قبضتك ونورته بكتابك ، وألبسته وقاراً منك ، يا ألله أطلب إليك أن تمحوه عني ، فامح عني ما أتيتك فيه ، وانزع بدني عن مثله فإني بك لا إله إلا أنت ، وباسمك الذي فيه تفصيل الأموركلها مؤمن ، هذا اعترافي فلا تخذلني ، وهب لي عافية ، وانجني من الذنب العظيم ، هلكت فتلافني بحق حقوقك كلها يا كريم .

فإنه إنْ لم يُرد بما أمرتك به غيري خلصته من كبيرته تلك حتى أغفرها له وأطهره الأبد منها ، وذلك لأني قد علمتك أسماءً أجيب بها الداعي .

● من نزلتْ به قارعة في فقر في دنياه

يا محمد ،

ومن نزلت به قارعة في فقر دنياه وأحب العافية منها فلينزل بي فيها ، وليقل :

يا محلَّ كنوز أهل الغنى ويا مغني أهل الفاقة من سعة تلك الكنوز بالعائدة عليهم ، والنظر لهم . يا ألله ، لا نسمي غيرك إلهاً إنما الألهة كلها معبودة دونك بالفرْيةِ والكذب . لا إله إلا

أنت . يا ساد الفقر ، ويا جابر العزّ وعالم السر ، ارحم هربي إليك من فقري . أسألك باسمك الحال في غناك الذي لا يفتقر ذاكره أبداً أن تعيذني من لزوم فقر أنسى به الدين ، أو بسوط غنى أفتتن به عن الطاعة . بحق نور اسمائك كلها ، أطلب إليك من رزقك كفاحاً للدنيا يعصم به الدين ، لا أجد لي غيرك ، مقادير الأرزاق عندك ، فانفعني من قدرتك عليها ، بما تفرع به ما نزل بي من الفقر يا غني ». فإنه إن قال ذلك ، نزعت الفقر من قلبه ، وغشيته الغنى ، وجعلته من أهل القناعة .

● ومن نزلت به مصيبة :

يا محمد

ومن نزلت به مصيبة في نفسه أو دينه أو دنياه أو أهله أو ماله فأحب فرجاً ، فلينزلها بي وليقل :

يا ممتناً على أهل الصبر بتطويقهم بالدعة التي أدخلتها عليهم بطاعتك ، ولا قوة إلا بك فدحتني مصيبة قد فتنتني ، وأعيتني المسالك للروح منها ، واضطرني إليك الطمع فيها مع حسن الرجاء لك فيها ، فهربت إليك بنفسي ، وانقطعت إليك لضري ، ورجوتك لدعائي . قد هلكت فأغثني واجبر مصيبتي بجلاء كربها وادخالك الصبر علي فيها ، فإنك إن

حُلت وخليت بيني وبين ما أنا فيه هلكت ، فلا صبر لي ! يا ذا الإسم الجامع فيه عظيم الشؤون كلها ، بحقك أغثني بتفريج مصيبتي عني يا كريم ». فإنه إذا قال ذلك ألهمته الصبر ، وطوقته الشكر ، وفرجت عنه مصيبته بجبرانها .

● ومن أصابه معاريض بلاء من مرض :

يا محمد

ومن أصابه معاريض بلاء من مرض ، فلينزل بي فيه وليقل : يا مصح أبدان ملائكته ، ويا مصرع تلك الأبدان لطاعته ، ويا خالق الآدميين صحيحاً ، ومُبْتَلَى ، ويا معرض أهل السقم ، وأهل الصحة للأجر والبلية ، ويا مداوي المرضى وشافيهم بطبِّه ، ويا مفرجاً عن أهل البلاء بلاياهم بتحليل رحمته ، نزل بي من الأمر ما رفضني فيه أقاربي وأهلي والصديق والبعيد . وما شمت فيه أعدائي ، حتى صرت مذكوراً ببلائي في أفواه المخلوقين ، واعيتني أقاويل أهل الأرض لقلة علمهم بدواء دائي ، وطب دوائي عندك ، مثبتٌ في علمك فانفعني بطبك فلا طبيب أرجى عندي منك ، ولا حميم أشد تعطفاً منك عليّ ، قد غيرت بليتك نعمك عليّ فحول ذلك عني إلى الفرج والرخاء ، فإنك إذ لم تفعل ذلك ، لم أرجُه من غيرك فانفعني بطبك ، وداو دائي بدوائك يا رحيم »

فإنه إذا قال ذلك صرفت عنه ضرَّة ، وعافيته منه .

● الخروج في سفر والعودة بسلام

يا محمد

ومن أراد الخروج من أهله لحاجة في سفر ، فأحبَّ أن أؤديه سالماً ، مع قضائي له الحاجة ، فليقل حين يخرج :

بسم الله مخرجي ، وبإذنه خرجت ، وقد علم قبل أنْ أخرج خروجي وقد أحصى بعلمه ما في مخرج رجعتي . توكلت على الإله الأكبر : الله ، توكل مفوض إليه أمره ، مستعين به على شؤونه مستزيد من فضله ، مبرىء نفسه من كل حول ومن كل قوة إلا به خروج ضرير خرج بضره إلى من يكشفه ، وخروج فقير خرج بفقره ، إلى من يسدّه ، وخروج عليل خرج بعلته إلى من يغيثها ، وخروج من ربه أكبر ثقته وأعظم رجائه وأفضل أمنيته ، الله ثقتي في جميع أموري كلها ، به فيها استعين ، ولا شيء إلاّ ما شاء الله في علمه ، أسأل الله الخير في المخرج والمدخل : لا إله إلاّ هو وإليه المصير ».

فإنه إذا قال ذلك وجهت له في مدخله السرور وأديته سالما.

● ومن ملاه همّ ديْن

يا محمد

ومن ملاه هم دين من أمتك فلينزل بي وليقل :

يا مبتلي الفريقين : أهل الفقر وأهل الغنى ، وجازيهم بالصبر في الذي ابتليتهم به ، ويا مزين حب المال عند عباده ، وملهم الأنفس الشح والسخاء ، وفاطر الخلق على الفظاظة واللين . غمني دين فلان ، وفضحني بمنه علي . وأعياني باب طلبته إلا منك . يا خير مطلوب إليه الحوائج ، يا مفرج الأهاويل ، فرج أهاويلي في الذي لزمني من دين الناس بتيسيرك لي من رزقك ، فاقضه يا قدير ولا تهني بأذاه ، ولا ينفسقه علي ، ويسر لي أداءه فإني به مسترق ، فافتح لي من سعتك التي لا تبيد ولا تغيض أبدا » .

فإنه إذا قال ذلك صرفت عنه صاحب الدين وعديه إليه عنه .

● ومن أراد الأمان من البلية والاستجابة للدعاء .

يا محمد

ومن أراد من أمتك الأمان من بليتي والاستجابة لدعائي فليقل حين يسمع تأذين المغرب :

يا مسلط نقمه على أعدائه بالخذلان لهم والعذاب لهم في الآخرة ، ويا موسعا فضله على أوليائه بعصمته إياهم في الدنيا

وبحسن عايدته عليهم في الآخرة ويا شديد النكال بالانتقام . ويا حسن المجازاة بالثواب ، ويا باريء خلق الجنة والنار وملزم أهلها عملها ، والعالم بمن يصير إلى جنته وناره ، يا هادي يا مضلّ يا كافي يا معافي يا معاقب ، أهدني بهداك وعافني بمعافاتك من سكنى جهنم مع الشياطين إرحمني فإنك إن لم ترحمني كنت من الخاسرين ، أعذني من الخسران بدخول النار ، وحرمان الجنة بحق لا إله إلا أنت يا ذا الفضل العظيم . فإنه إذا قال تغمدته في ذلك المقام الذي يقول فيه هذا برحمتي.[1]

* * *

* موعظة الله لمحمد (ص)

عن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي صلى الله عليه واله وسلم سأل ربه سبحانه - ليلة - المعراج - فقال يا رب أي الأعمال أفضل ؟ فقال الله عز وجل :

ليس شيء عندي أفضل من التوكل عليّ ، والرضا بما قسمت .

---

(١) - للاستزادة من الأدعية راجع كلمة الله ص : ٣١٢ - ٣٤١ . الجواهر السنية للحر العاملي : ص : ١٨٩

يا محمد ،

وجبت محبتي للمتحابين فيّ ووجبت محبتي للمتعاطفين فيّ . ووجبت محبتي للمتواصلين فيّ ووجبت محبتي للمتوكلين عليّ .

وليس لمحبتي علم ، ولا غاية ولا نهاية ، وكلما رفعت لهم علما وضعت علما ، أولئك الذين نظروا إلى المخلوقين بنظري إليهم ، ولا يرفعون الحوائج إلى الخلق ، بطونهم خفيفة من أكل الحلال ، نعيمهم في الدنيا ذكري ، ومحبتي ورضاي عنهم .

يا أحمد ! إن احببت أن تكون أورع الناس فازهد في الدنيا وارغب في الاخرة .

فقال : يا إلهي ! كيف أزهد في الدنيا وأرغب في الاخرة ؟ قال : خذ من الدنيا خفا من الطعام والشراب واللباس ، ولا تدخر لغد ، ودم على ذكري .

فقال : يا رب ! وكيف أدوم على ذكرك ؟ فقال : بالخلوة عن الناس ، وبغضك الحلو والحامض ، وفراغ بطنك وبيتك من الدنيا .

يا أحمد ! فاحذر أن تكون مثل الصبي ، إذا نظر إلى الأخضر والأصفر أحبّه ، وإذا أعطي شيئا من الحلو والحامض إغتر به .

فقال : يا رب ! دلني على عمل أتقرب به إليك . قال : إجعل ليلك نهارا ، ونهارك ليلا .

قال : يا رب ! كيف ذلك ؟ قال : إجعل نومك صلاة وطعامك الجوع .

يا أحمد ! وعزتي وجلالي ، ما من عبد مؤمن ضمن لي أربع خصال إلا ادخلته الجنة : يطوي لسانه فلا يفتحه إلا بما يعنيه ، ويحفظ قلبه من الوسواس ، ويحفظ علمي ونظري إليه ، وتكون قرة عينه الجوع .

يا أحمد ! لو ذقت حلاوة الجوع ، والصمت ، والخلوة ، وما ورثوا منها ! !

قال : يا ربّ ! ما ميراث الجوع ؟ فقال : الحكمة ، وحفظ القلب ، والتقرب إلي ، والحزن الدائم ، وخفة المؤونة بين الناس ، وقول الحق ، ولا يبالي عاش بيسر أو بعسر .

يا أحمد ! هل تدري بأي وقت يتقرب العبد إلى الله ؟

قال : لا يا رب ! قال : إذا كان جائعاً أو ساجدا .

يـا أحمـد ! عجبت من ثـلاثـة عبيـد : عبـد دخـل في الصلاة ، وهو يعلم إلى من يرفع يديه ؟ وقدام من هو ؟ وهـو ينعس . وعجبت من عبد له قوت يوم من حشيش أو غيره ، وهو يهتم لغد .

وعجبت من عبـد لا يـدري أني راض عنـه أم سـاخط عليه ، وهو يضحك .

يا أحمد ! إن في الجنة قصراً من لؤلؤة فوق لؤلؤة ، ودرة فوق درة ، ليس فيها فصم ولا وصل ، فيها الخـواصّ ، انظر إليهم كل يوم سبعين مرة ، وأكلمهم ، كلما نظرت إليهم أزيد في ملكهم سبعـين ضعفاً ، وإذا تلذذ اهـل الجنـة بـالـطعـام والشراب ، تلذذوا بكلامي وذكري وحديثي .

قال يا رب مـا علامـات أولئك ؟ قـال : هم في الدنيـا مسجونون ، قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام ، وبطونهم من فضول الطعام .

يـا أحمد ! إن المحبـة لله هي المحبـة للفقـراء والتقـرب إليهم .

قـال : يـا رب ! ومن الفقـراء ؟ قـال : الـذين رضـوا بالقليل ، وصبروا على الجوع ، وشكروا على الرخاء ولم يشكوا جوعهم ولا ظمأهم ، ولم يكذبوا بألسنتهم ، ولم يغضبوا عـلى

ربهم ، ولم يغتموا على ما فاتهم ، ولم يفرحوا بما آتاهم .

يا أحمد ! محبتي للفقراء ،فأدنِ الفقراء ، وقرب مجلسهم منك أُدْنِكَ ، وبعّد الأغنياء وبعّد مجلسهم منك ، فإن الفقراء احبائي .

يا أحمد ! لا تتزين بلين اللباس ، وطيب الطعام ، ولين الوِطاء ، فإن النفس مأوى كل شر ، وهي رفيق كل سوء . تجرها إلى طاعة الله ، وتجرك إلى معصيته ، وتخالفك في طاعته ، وتطيعك فيما يكره ، وتطغى إذا شبعت ، وتشكو إذا جاعت ، وتغضب إذا افتقرت ، وتتكبر إذا استغنت ، وتنسى إذا كبرت ، وتغفل إذا أمنت ، وهي قرينة الشيطان ، ومثل النفس كمثل النعامة تأكل الكثير ، وإذا حمل عليها لا تطير ، ومثل الدفلى ، لونه حسن وطعمه مر .

يا أحمد أبغض الدنيا وأهلها ، وأحبّ الآخرة وأهلها .

قال يا رب ومن أهل الدنيا ؟ ومن أهل الآخرة ؟ قال :

« أهل الدنيا » :

من كثر أكله وضحكه ، ونومه ، وغضبه ، قليل الرضا ، لا يعتذر إلى مَنْ أساء إليه ، ولا يقبل معذرة من اعتذر إليه ، كسلان عن الطاعة ، شجاع عند المعصية ، أمله بعيد ،

وأجله قريب ، لا يحاسب نفسه قليل المنفعة ، كثير الكلام ، قليل الخوف كثير الفرح عند الطعام .

وإن أهل الدنيا ، لا يشكرون عند الرخاء ولا يصبرون عند البلاء كثير الناس عندهم قليل ، ويحمدون أنفسهم بما لا يفعلون ويدعون بما ليس لهم ، ويتكلمون بما يتمنون ، ويذكرون مساوىء الناس ، ويخفون حسناتهم .

قال يا رب ! هل يكون سوى هذا العيب في أهل الدنيا ؟ قال

يا أحمد : إن عيب أهل الدنيا كثير ، فيهم الجهل والحمق .. لا يتواضعون لمن يتعلمون منه ، وهم عند أنفسهم عقلاء ، وعند العارفين حمقاء .

يا أحمد ! إن أهل الخير والاخرة :

رقيقة وجوههم ، كثير حياؤهم ، قليل حمقهم ، كثير نفعهم ، قليل مكرهم ، الناس منهم في راحة ، وأنفسهم منهم في تعب ، كلامهم موزون محاسبون لأنفسهم ، متعبون لها . تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم أعينهم باكية ، وقلوبهم ذاكرة ، إذا كتب الناس في الغافلين كتبوا من الذاكرين . في أول النعمة يحمدون ، وفي اخرها يشكرون دعاؤهم عند الله مرفوع ، وكلامهم مسموع ، تفرح بهم الملائكة يدور دعاؤهم تحت

الحجب ، يحب الرب أن يسمع كلامهم كما تحب الوالدة ولدها ، ولا يشغلهم عن الله شيء طرفة عين ، ولا يريدون كثرة الطعام ، ولا كثرة الكلام ، ولا كثرة اللباس ، الناس عندهم موتى ، والله عندهم حي قيوم كريم ، يدعون المدبرين كرماً ، ويزيدون المقبلين تلطفاً ، قد صارت الدنيا والآخرة عندهم واحدة يموت الناس مرة ، ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة ، من مجاهدة أنفسهم ، ومخالفة هواهم ، والشيطان الذي يجري في عروقهم ، ولو تحركت ريح لزعزعتهم ، وإن قاموا بين يدي كأنهم بنيان مرصوص ، لا أرى في قلبهم شغلاً لمخلوق . فوعزتي وجلالي ! لأحيينهم حياة طيبة ، إذا فارقت أرواحهم أجسادهم ، لا أسلط عليهم ملك الموت ، ولا يلي قبض روحهم غيري ، ولأفتحنَّ لروحهم أبواب السماء كلها ، ولارفعن الحجب كلها دوني ، ولأمرنَّ الجنان فلتتزيننَّ ، والحور فلتزفنَّ والملائكة فلتصلين ، والأشجار فلتثمرنَّ ، وثمار الجنة فلتدلين ، ولآمرنَّ ريحاً من الرياح التي تحت العرش فلتحملن جبالاً من الكافور والمسك الأذفر فلتصيرن وقوداً من غير النار فلتدخلن به ، ولا يكون بيني وبين روحه ستر فأقول له عند قبض روحه : مرحباً وأهلاً بقدومك علي ، إصعد بالكرامة والبشرى ، والرحمة والرضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا ، إنَّ الله عنده أجر عظيم . فلو رأيت

الملائكة كيف يأخذ بها واحد ويعطيها الآخر .

يا أحمد : إنَّ أهل الآخرة ، لا يهنأهم الطعام منذ عرفوا ربهم ولا تشغلهم مصيبة منذ عرفوا سيئاتهم ، يبكون على خطاياهم يتعبون أنفسهم ولا يريحونها ، وإن راحة أهل الجنة في الموت ، والآخرة مستراح العابدين ، مؤنسهم دموعهم التي تفيض على خدودهم ، وجلوسهم مع الملائكة الذين عن ايمانهم وعن شمائلهم ، ومناجاتهم مع الجليل الذي فوق عرشه ، وإن أهل الآخرة ، قلوبهم في أجوافهم قد قُرّحت ، يقولون : متى نستريح من دار الفناء إلى دار البقاء .

يا أحمد ! هل تعرف ما للزاهدين عندي في الاخرة ؟

قال : لا يا رب ! قال :

يُبعث الخلق ، ويناقشون بالحساب وهم من ذلك امنون إنَّ أدنى ما أعطي للزاهدين في الاخرة :

أن أعطيهم مفاتيح الجنان كلها . يفتحون أي باب شاؤوا ، فلا أحجب عنهم وجهي ، ولأنعمنّهم بألوان التلذذ من كلامي ، ولأجلسنهم في مقعد صدق ، وأذكرنهم ما صنعوا وتعبوا في دار الدنيا ، وأفتح لهم أربعة أبواب :

باب تدخل عليهم الهدايا منه بكرة وعشيا من عندي

وباب ينظرون منه إليّ كيف شاؤوا بلا صعوبة .

وباب يطلعون منه إلى النار فينظرون منه إلى الظالمين كيف يعذبون

وباب تدخل عليهم منه الوصايف والحور العين .

قال يا رب ! من هؤلاء الزاهدون الذين وصفتهم ؟ قال :

« الزاهدون »

الزاهد : هو الذي ليس له بيت يخرب فيغتنم بخرابه ، ولا له ولد يموت فيحزن لموته ، ولا له شيء يذهب فيحزن لذهابه ، ولا يعرفه إنسان يشغله عن الله طرفة عين ، ولا له فضل طعام ليسأل عنه ولا له ثوب لينّ .

يا أحمد ! وجوه الزاهدين ، مصفرة من تعب الليل وصوم النهار ألسنتهم كلال إلاّ من ذكر الله تعالى ، قلوبهم في صدورهم مطعونة من كثرة ما يخالفون أهواءهم ، قد ضمّروا أنفسهم من كثرة صمتهم ، قد أعطوا المجهود من أنفسهم ، لا من خوف من نار ولا من شوق جنة ، ولكن ينظرون في ملكوت السماوات والأرض فيعلمون : أن الله سبحانه وتعالى أهل العبادة ، كأنما ينظرون إلى من فوقها .

قال : يا رب ! هل تعطي لأحد من أمتي هذا ؟ قال :

يا أحمد ! هذه درجة الأنبياء والصديقين من أمتك وأمة غيرك وأقوام من الشهداء .

قال : يا رب ! أي الزهاد أكثر ، زهاد أمتي أم زهاد بني اسرائيل ؟ قال إن زهاد بني اسرائيل في زهاد أمتك كشعرة سوداء في بقرة بيضاء .

فقال : يا رب ! كيف يكون ذلك ؟ وعدد بني إسرائيل أكثر من أمتي ؟ قال :

لأنهم شكّوا بعد اليقين ، وجحدوا بعد الإقرار .

ـ فضائل الصوم ـ

قال يا رب ! وما ميراث الصوم ؟ قال :

الصوم : يورث الحكمة ، والحكمة تورث المعرفة ، والمعرفة تورث اليقين ، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح : بعسر أم بيسر ؟ وإذا كان العبد في حالة الموت ، يقوم على رأسه ملائكة ، بيد كل ملك كأس من ماء الكوثر ، وكأس من الخمر ، يسقون روحه حتى تذهب سكرته ومرارته ، ويبشرونه بالبشارة العظمى ، ويقولون له ، طبت وطاب مثواك ، إنك تقدم على العزيز الحكيم ، الحبيب القريب فتطير

الروح من أيدي الملائكة فتصعد إلى الله تعالى ، في أسرع من طرفة عين . . .

يا أحمد ليس شيء من العبادة أحب إليّ من الصمت والصوم :

فمن صام ولم يحفظ لسانه ، كمن قام ولم يقرأ في صلاته ، فأعطيته أجر القيام ، ولم أعطه أجر العابدين .

يا أحمد ! لو صلى العبد صلاة أهل السماء والأرض ، ويصوم صيام أهل السماء والارض ، ويطوي من الطعام مثل الملائكة ولبس لباس العاري ، ثم أرى في قلبه من حب الدنيا ذرة أوسعتها أو رئاستها ، أو حليها ، أو زينتها لا يجاورني في داري ، ولأنزعنّ من قلبه محبتي ، وعليك سلامي ورحمتي والحمد لله رب العالمين[١]

* * *

ليلة اسراء جامعة :

عن عبد الرحمن بن غنم ، قال : « جاء جبرائيل إلى رسول الله (ص) بدابّة دون البغل ، وفوق الحمار ، رجلاها

---

(١) ـ كلمة الله ص : ٣٦٢ . الجواهر السنية : ص : ١٧٣ نقلاً عن الراوندي

أطول من يديها ، خطوها مد البصر ، فلما أراد النبي أن يركب امتنعت ، فقال جبرائيل : « إنه محمد ! » فتواضعت حتى لصقت بالأرض ، قال : فركب . فكلما هبطت ارتفعت يداها وقصرت رجلاها ، وإذا صعدت ارتفعت رجلاها وقصرت يداها ، فمرت به في ظلمة الليل على عيْرٍ محملة ، فنفرت العير من دفيف البراق . فنادى رجل في اخر العير غلاماً له في أول العير : « يا فلان ! إن الإبل قد نفرت ، وإن فلانة ألقت حملها ، وانكسر (كذا) يدها » وكانت العير لأبي سفيان ، قال ، ثم مضى حتى إذا كان ببطن البلقاء ، قال : يا جبرائيل قد عطشت » فتناول جبرائيل قصعة فيها ماء فناوله فشرب . ثم مضى فمر على قوم معلقين بعراقيبهم بكلاليب من نار فقال : « ما هؤلاء يا جبرائيل ؟ » فقال : « هؤلاء الذين أغناهم الله بالحلال فيبتغون الحرام » ثم مرّ على قوم تخاط جلودهم بمخائط من نار فقال : « ما هؤلاء يا جبرائيل ؟ » فقال : هؤلاء الذين يأخذون عذرة النساء بغير حل » ثم مضى فمر على رجل يرفع حزمة من حطب ، كلما لم يستطع أن يرفعها زاد فيها ، فقال : « من هذا يا جبرائيل ؟ » قال : « هذا صاحب الدّين يريد أن يقضي ، فإذا لم يستطع زاد عليه » ثم مضى حتى إذا كان بالجبل الشرقي من بيت المقدس وجد ريحاً حارة وسمع صوتا قال : « ما هذه الريح يا جبرائيل التي

أجدها ، وهذا الصوت الذي أسمع ؟؟» قال : هذه جهنم » فقال النبي (ص) « أعوذ بالله من جهنم ». ثم وجد ريحا عن يمينه طيبة وسمع صوتا ، فقال : « ما هذه الريح التي أجدها ؟ وهذاالصوت الذي أسمع ؟» قال : « هذه الجنة » فقال : « أسأل الله الجنة ». قال : ثم مضى حتى انتهى إلى باب مدينة بيت المقدس وفيها هرقل ، وكانت أبواب المدينة تغلق كل ليلة ، ويؤتى بالمفاتيح ، وتوضع عند رأسه ، فلما كانت تلك الليلة امتنع الباب أن ينغلق فأخبروه ، فقال : « ضاعفوا عليه من الحرس » قال : فجاء رسول الله (ص) فدخل بيت المقدس فجاء جبرائيل إلى الصخرة فرفعها فأخرج من تحتها ثلاثة أقداح واحد فيه لبن وواحد فيه عسل وواحد فيه خمر . فناوله قدح اللبن فشرب ثم ناوله قدح العسل فشرب ثم ناوله قدح الخمر فقال : « قد رويت يا جبرائيل » قال : أما إنك لو شربته ضلت أمتك وتفرقت عنك ». قال : ثم أمّ رسول الله (ص) في مسجد بيت المقدس سبعين نبيا . قال وهبط مع جبرائيل ملك لم يطأ الأرض قط معه مفاتيح خزائن الأرض فقال : « يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول : هذه مفاتيح خزائن الأرض فإن شئت فكن نبيا عبدا ، وإن شئت فكن نبياً ملكا » فأشار إليه جبرائيل(ع) أن تواضع يا محمد ! فقال : « بل أكون نبيا عبداً » .

ثم صعد إلى السماء، فلما انتهى إلى باب السماء استفتح جبرائيل ، فقالوا « من هذا ؟» قال : « محمد » قالوا : « نعم المجيء جاء » فدخل فما مر على ملأ من الملائكة إلاّ سلّموا عليه ودعوا له وشيعه مقربوها، فمر على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله أطفال ، فقال رسول الله (ص): « من هذا الشيخ يا جبرائيل ؟» قال : « هذا أبوك ابراهيم » قال : « فما هؤلاء الأطفال حوله » قال : « هؤلاء أطفال المؤمنين حوله يغذوهم ».

ثم مضى فمر على شيخ قاعد على كرسي إذا نظر عن يمينه ضحك وفرح وإذا نظر عن يساره ، حزن وبكى ! فقال : « من هذا يا جبرائيل ؟» قال : « هذا أبوك آدم ، إذا رأى من يدخل الجنة من ذريته ضحك وفرح وإذا رأى من يدخل النار من ذريته حزن وبكى »

ثم مضى فمر على ملك قاعد على كرسي فسلم عليه فلم ير منه من البِشْر ما رأى من الملائكة . فقال : « يا جبرائيل ، ما مررت بأحد من الملائكة إلا رأيت فيه ما أحب إلا هذا فمن هذا الملك ؟!» قال : « هذا مالك خازن النار ، أما إنه قد كان من أحسن الملائكة بشراً ، وأطلقهم وجهاً ، فلما جُعل خازن النار أطلع فيها إطلاعة ، فرأى ما أعد الله فيها لأهلها فلم يضحك بعد ذلك ».

ثم مضى حتى إذا انتهى حيث انتهى فُرضت عليه الصلاة خمسون صلاة ، قال : فأقبل على موسى (ع) فقال : « يا محمد ، كم فُرض على أمتك ؟ » . قال « خمسون صلاة » . قال « إرجع إلى ربك ، فسله أن يخفف عن أمتك » . قال فرجع . ثم مرّ على موسى فقال : « كم فرض على أمتك ؟ » قال : « كذا وكذا » ، قال : « فإن امتك أضعف الأمم ، ارجع إلى ربك فسله أن يخفف عن أمتك فإني كنت في بني اسرائيل ، فلم يكونوا يطيقون إلا دون هذا » فلم يزل يرجع إلى ربه عز وجل حتى جعلها خمس صلوات . قال ثم مرّ على موسى فقال : « كم فُرض على أمتك ؟ » قال خمس صلوات قال : « ارجع إلى ربك ، فسله أن يخفف عن أمتك » قال : « قد استحييت من ربي مما أرجع إليه » .

ثم مضى فمر على إبراهيم خليل الرحمن ، فناداه من خلفه فقال : « يا محمد أقرىء أمتك عني السلام وأخبرهم أن الجنة ماؤ ها عذب ، وتربتها طيبة فيها قيعان[1] بيض غرسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، فمُرْ أمتك فليكثروا من غرْسها » .

ثم مضى حتى مر بعير يقدمها جمل أورق[2] ثم أتى أهل

(١) ـ قيعان : جمع قاع : ارض سهلة انفرجت عنها الجبال والآكام . (أقرب الموارد)

(٢) ـ أورق : ما في لونه بياض إلى سواد أو لونه لون الرماد (أقرب الموارد)

مكة فأخبرهم بمسيره ، وقد كان بمكة قوم من قريش قد أتوا بيت المقدس فأخبرهم ثم قال : « آية ذلك أنها تطلع عليكم الساعة عير مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق ». قال : فنظروا فإذا هي قد طلعت وأخبرهم أنه قد مرّ بأبي سفيان وأن إبله نفرت في بعض الليل وأنه نادى غلاماً له في أول العير : « يا فلان إن الإبل قد نفرت وإن فلانة قد ألقت حملها وانكسر يدها » . فسألوا عن الخبر فوجدوه كما قال النبي (ص)[1] .

وفي الحديث بالاسناد إلى أبي هريرة مرفوعاً من حديث طويل قال : « فأتى على قوم ! يعني الرسول (ص) - يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان . فقال النبي (ص) : « يا جبرائيل ! ما هذا ؟» » قال : « هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه .

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال : « ما هؤلاء يا جبرائيل ؟» قال : « هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة » .

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع ،

---

(١) - امالي الصدوق ص : ٣٦٤

يسرحون كما تسرح الإبل والنعم ، ويأكلون الضريع[1] والزقوم[2] ورضف[3] جهنم وحجارتها . قال : « ما هؤلاء يا جبرائيل ؟» قال : « هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم الله شيئاً » .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قِدْر ولحم آخر نيّء خبيث فجعلوا يأكلون من النيّء الخبيث ويَدعون النضيج الطيب قال : « ما هؤلاء يا جبرائيل ؟» قال : « هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة ، فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح » .

---

(١) الضريع : وردت في الآية الكريمة (الغاشية : ٦) ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾
قال الطوسي في التبيان : « الضريع نبات لا تأكله الابل ، يضر ولا ينفع كما وصفه الله تعالى ﴿ لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾ وقيل هو سم : الطوسي ١٠/ ٣٣٤ والضريع في اللغة ، نبات ، رطبه يسمى شُبرقاً ويابسه ضريعاً لا تقربه دابة لخبثه (اقرب الموارد واللسان)

(٢) ـ الزقوم : وردت في الآية الكريمة (الدخان) : ﴿ إن شجرة الزقوم ﴾ آية ٤٣ طعام الأثيم (٤٤)
قالوا : الزقوم ما أكل بتكره شديد له وقد شرح الله سبحانه معناها فقال :
﴿ إنها شجرة تخرج من اصل الجحيم (٦٤) طَلْعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾(٦٥) الصافات

(٣) رَضْف حجارة حميت بالنار واحده رضْفة ـ اللسان ـ .

ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلى شقته ولا شيء إلا خــرقتـه. قال : » ما هذا يا جبرائيل ؟» قال : « هـذا مثل أقـوام من أمتك يقعـدون عـلى الـطريق فيقطعونه » . . .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفـاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت . لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال : « ما هؤلاء يا جبرائيل ؟» قال : « هؤلاء خطباء الفتنة » .

ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال : « ما هذا يا جبرائيل ؟» قال : « هذا الرجل يتكلم بكلمة عظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها . . . »[1]

وأخرج أحمد وابن ماجة وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق أبي الصلت عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله (ص) : « رأيت ليلة أسري بي لما انتهينـا إلى السماء السابعة ـ يعني مع جبرائيل ـ فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من

(١) ـ الخصائص الكبرى للسيوطي ١٧٢/١

خارج بطونهم فقلت : « من هؤلاء يا جبرائيل ؟» قال : هؤلاء أكلة الربا»[1] .

وعن أمير المؤمنين عن النبي (ص) قال : « لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قيعان ، ورأيت فيها ملائكة يبنون لُبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وربما أمسكوا . فقلت لهم : « ما بالكم قد أمسكتم ؟» فقالوا : « حتى تجيئنا النفقة !» فقلت : « وما نفقتكم ؟» قالوا : « قول المؤمن : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فإذا قال بنينا وإذا أمسك أمسكنا . . . »[2]

لما وجدت في بعض هذه الأحاديث إمكانية تجسم العمل والقول في الحياة ينقلب في الحياة الأخرة جسماً نورانياً ينفع أو يضر ، ولما « قرأت في بعض المجلات حوار أجري بين أخوين كريمين اختلفا حول تجسم العمل والقول يوم القيامة[3] فأحببت أن أدخل بينهما بنظرة قد يمليها العقل ويدل عليها النقل بالنفي أو الايجاب » فأقول :

في الأحاديث المتقدمة دلالة على تجسم الأعمال في النشأة الأخروية بل قد ورد في بعض الأخبار تجسم الإعتقادات

(١) ـ الخصائص الكبرى للسيوطي ١٧٦/١
(٢) ـ مصابيح الانوار للسيد شبر ٩٣/٢
(٣) ـ راجع مجلة الحكمة العدد ٧ ـ شهر رمضان ١٤٠٠ هـ ص : ٦٥

أيضا ، ولا بُعْد في أن الاعمال الصالحة ، والاعتقادات الصحيحة ، تظهر في الاخرة صورا نورانية مستحسنة موجبة لصاحبها كمال السرور والإبتهاج ، والاعمال السيئة بعكس ذلك ، ويرشد إلى ذلك ظواهر كثيرة من الايات والروايات . قال الله تعالى : ﴿ يوْم تجدُ كُلُّ نفْس ما عملتْ منْ خيْرٍ مُحضرا وما عملت منْ سُوء تودُّ لوْ أنّ بيْنها وبيْنهُ أمدا بعيدا ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ يومئذ يصْدُرُ الناسُ أشتاتا لِيُروا أعْمالهُمْ فمنْ يعْملْ مثْقال ذرّة خيرا يرهْ ومنْ يعْملْ مثقال ذرة شرا يرهْ ﴾[2]

ومن جعل التقدير ليروا جزاء أعمالهم ولم يرجع ضمير (يره) إلى العمل فقد أبعد . قال الشيخ البهائي رحمه الله :

« . . . الحق أن الموزونة في النشأة الأخرى هو نفس الأعمال لا صحايفها ، وما يقال من أن تجسم العرض طورا خلاف طور العقل فكلام ظاهري عامي ، والذي عليه الخواص من أهل التحقيق أنّ سنْخ[3] الشيء وحقيقته أمر مغاير للصورة التي يتجلى بها على المشاعر الظاهرة ، ويلبسها لدى المدارك الباطنة ، وأنه يختلف ظهوره في تلك الصور

---

(١) ـ آل عمران : ٣٠

(٢) ـ الزلزلة : ٦ ـ ٧

(٣) ـ سنْخ : الأصل

بحسب اختلاف المواطن والنشآت ، فيلبس في كل موطن لباساً ويتجلبب في كل نشأة بجلباب ، كما قالوا ؛ إن لون الماء لون إنائه وأما الأصل الذي تتوارد هذه الصور عليه ، ويعبرون عنه تارة بالنسخ ومرة بالوجه وأخرى بالروح فلا يعلمه إلّا علّام الغيوب ، فلا بُعْد في كون الشيء في موطن عرضاً وفي آخر جوهراً ، ألا ترى إلى الشيء المبصَر ، فإنه إنما يظهر الحسّ البصر إذا كان محفوفاً بالجلابيب الجسمانية ، ملازماً لوضع خاص وتوسط بين القرب والبعد المفرطين »

فتجسم الأعمال في النشآت الأخروية ، وأن يكون قرين الإنسان في قبره وحشره قد ورد في أحاديث متكثرة من طرق المخالف والموافق . وقد روي عن قيس بن عاصم قال : « وفدت مع جماعة من بني تميم على النبي (ص) فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدهمس ، فقلت يا رسول الله ! عِظنا موعظة ننتفع بها ، فإنا قوم نُقرٌّ بالبرية قال (ص) : « يا قيس ، إنَّ مع العزّ ذلاً ، وإن مع الحياة موتاً ، وإن مع الدنيا آخرة ، وإن لكل شيء رقيباً ، وعلى كل شيء حسيباً ، وإن لكل أجل كتاباً ، وإنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي ، وتُدفن معه وأنت ميت ، فإن كان كريماً أكرمك الله ، وإن كان لئيماً أساءك ، ثم لا يُحشر إلا معك ولا تحشر إلا معه ؛ ولا تُسأل إلا عنه ، فلا تجعله إلا صالحاً ، فإنه إن صلح أنست به ،

وإن فسد لا تستوحش إلا منه ، وهو فعلك » فقال : يا نبي الله ! أحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفتخر به على من يلينا من العرب وندّخره » فأمر النبي من يأتيه بحسان ، قال قيس : فاستبان لي القول قبل مجيء حسان فقلت : « يا رسول الله قد حضرني أبيات أحسبها توافق ما تريد » فقلت :

تخـيّر خليـطاً من فِعـالـك إنمـا
قرين الفتى في القبر مـا كـان يفعـلُ
ولا بـد بعـد المـوت من أنْ تعُـدّه
ليـوم ينـادى المـرء فيـه فيقبـل
فـإن تـك مشغـولاً بشيء فـلا تكن
بغـير الـذي يرضى به الله تشغـل
فلن يصحب الإنسـان من بعد مـوتـه
ومن قبـله إلا الـذي كـان يعمـل

قال البهائي : « قال بعض أصحاب القلوب : إنَّ الحيات والعقارب بل والنيران التي تظهر في القيامة هي بعينها الأعمال القبيحة ، والأخلاق الذميمة ، والعقائد الباطلة ، التي ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة ، وتجلببت بهذه الجلابيب . كما أن الروح والريحان ، والحور والثمار : هي

الأخلاق الزكية والأعمال الصالحة والاعتقادات الحقة التي برزت في هذا العالم بهذا الزي وتسمت بهذا الاسم ، إذ الحقيقة واحدة ، تختلف صورها باختلاف المواطن ، فتتحلى في كل موطن بحلية ، وتتزيا في كل نشأة بزي »[1] . وقالوا إن اسم الفاعل في قوله تعالى ﴿ يَستَعْجِلونَكَ بالعَذَابِ وإنَّ جهَنَّمَ لَمحيطةٌ بالكافرين ﴾[2] ليس بمعنى الاستقبال بأن يكون المراد إنها ستحيط بهم في النشأة الأخرى كما ذكره الظاهريون من المفسرين بل هو على حقيقته من معنى الحال فإن قبايحهم الخلقية والعملية والاعتقادية محيطة بهم في هذه النشأة ، وهي بعينها جهنم التي ستظهر لهم في النشأة الآخرة ، بصورة النار وعقاربها وحياتها ، وقس على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ إنَّ الَّذينَ يَأكلُونَ أمْوَال اليَتَامَى ظُلْمَاً إنَّمَا يأكُلُونَ في بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعيراً ﴾[3] وكذلك قوله سبحانه : ﴿ . . . يَوْمَ تَجدُ كلُ نفسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضرا ﴾[4] إذ ليس المراد أنها تجد جزاءه بل تجده بعينه لكن ظاهراً في جلباب آخر . وقوله تعالى : ﴿ فاليَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئاً ولا تُجزَوْنَ إلاَّ ما كُنْتُمْ

(١) ـ مصابيح الأنوار للسيد شبر ص : ١٥١/١

(٢) ـ العنكبوت : ٥٤

(٣) ـ النساء : ٩

(٤) ـ آل عمران : ٣٠

تَعْمَلُونَ ﴾[1] ومثل ذلك في القرآن العزيز كثير .

وورد في الأحاديث النبوية منه ما لا يحصى كقوله (ص) : « الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في جوفه نار جهنم »

وقوله (ص) : « الظلم ظلمات يوم القيامة » .

وقوله (ص) : « الجنة قيعان وإن غراسها سبحان الله وبحمده ، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

*** همسة حول الصلاة ومراجعة الرسول (ص) لله سبحانه فيها :**

روي بالأسانيد عن الصدوق في العلل والتوحيد والأمالي بإسناده عن زيد بن علي ، قال : سألت أبي سيد العابدين فقلت له ، يا أبه ! أخبرني عن جدنا رسول الله (ص) لما عُرج به إلى السماء وأمره ربه عز وجل بخمسين صلاة كيف لم يسأله التخفيف عن أمته حتى قال له موسى بن عمران (ع) إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن امتك لا تطيق ذلك » فقال : « يا بني إن رسول الله (ص) لا يصر على ربه تعالى ، ولا يراجعه في شيء يأمره به ، فلما سأله موسى ذلك وصار شفيعاً لأمته إليه لم يجز له رد شفاعة أخيه موسى (ع) فرجع إلى ربه عز وجل فسأله

(١) - يس : ٥٤

التخفيف إلى أن ردها إلى خمس صلوات » قال : « فقلت : يا أبه ، فلمَ لم يرجع إلى ربه عز وجل ولم يسأله التخفيف بعد خمس صلوات ؟» فقال : « يا بُني أراد (ع) أن يحصل لأمته التخفيف مع أجر خمسين صلاة لقول الله عز وجل: ﴿ مَنْ جاء بالحسنة فلهُ عَشْرُ أمْثالِها ﴾[1] ألا ترى أنه عليه السلام لما هبط إلى الأرض نزل عليه جبرائيل فقال : « يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول إنها خمس بخمسين ﴿ ما يبدل القول لديَّ وما أنا بظلام للعبيد ﴾[2]

فذلك تأكيد لما قبله من الكلام أي ما وعدت من ثواب خمسين لا يُبدَّل فإني لا أخلف الموعد ولا أظلم العباد به . والله تعالى العالم .

(١) ـ الأنعام : ١٦١
(٢) ـ ق : ٢٩

الفَصْلُ التَّاسِع

مَدَائِحُ نَبَوِيَّة

البردة : كعب بن زهير بن أبي سلمى

بانت سعاد ، فقلبي اليوم مَتْبولُ ،

مُتيم إثرها ، لم يُفدَ ، مَكْبولُ (٢)

وما سعاد ، غداة البين ، إذ رحلوا ،

إلا أغنٌّ ، غضيضُ الطرف ، مكحول (٣)

هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة

لا يشتكي قِصَرٌ منها ، ولا طول (٤)

تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت

كأنه منهل ، بالراح معلول (٥)

شُجَّت بذي شَبَمٍ من ماء محنيةٍ

صافٍ بأبطحَ أضحى ، وهو مشمول (٦)

تنفي الرياح القذى عنه ، وأفرطَهُ

من صَوْبِ سارية بيضٌ يعاليل (٧)

أكرم بها خُلَّةً ، لو أنها صدقت

موعودها أو لو انَّ النصح مقبول (٨)

لكنها خلَّةٌ ، قد سيط من دمها
فجْعٌ ، وَوَلْع ، وإخلاف ، وتبديل (٩)

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلوَّنُ في أثوابها الغول

ولا تمسَّكُ بالعهد الذي زعمت
إلا كما تَمْسِكُ الماءَ الغرابيلُ

فلا يغرَّنْك ما منَّت وما وعدت
إنَّ الأمانيّ والأحلام تضليل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ،
وما مواعيدها إلا الأباطيل (١٠)

أرجو وآمل أن تدنو مودتها ،
وما إخال لدينا منك تنويلُ

أمست سعاد بأرض لا يُبلِّغها
إلا العِتَاق، النجيبات المراسيل (١١)

ولن يبلِّغها إلا عـذافـرة
فيها على الأين إرقال وتبغيل (١٢)

من كل نضَّاحة الذِّفْرى إذا عرقت
عُرْضَتُهَا طامس الإعلام مجهول (١٣)

ترمي الغيوب بعيني مفرد لَهِقٍ

إذا توقدت الحِزّانُ والميل (١٤)

ضخم مقلّدها ، فِعمٌ مقيّدها

في خلقها ، عن بنات الفحل تفضيل (١٥)

غلباء ، وجناء ، عُلكوم ، مذكرة

في دَفِّهَا سعةٌ ، قُدامُها ميل (١٦)

وجلدها من أطوم لا يؤيِّسه

طِلحٌ بضاحية المتنين ، مهزول (١٧)

حرف أبوها أخـوها من مُهَجَّنة

وعَمُّها خالها ، قوداءُ شِمليل (١٨)

يمشي القراد عليها ثم يزلقه

منها لَبانٌ ، وأقراب زهاليل (١٩)

عَيْرانةٌ قُذِفت بالنَّحض عن عُرُضٍ

مِرْفَقُها عن ضلوع الزَّوْرِ مفتول (٢٠)

كأنما فات عينيها ، ومذبَحها ،

من خَطْمِها ، ومن اللَّحْيينْ ، برطيل (٢١)

تمر مثل عسيب النخـل ، ذا خصل

في غارز لَم تخوِّنه الأحاليل (٢٢)

قنواءُ في حُرَّتيْها ، للبصير بها

عِتْقٌ مبين ، وفي الخدين تسهيل (٢٣)

تَخدي على يَسَرات ، وهي لاهيةٌ ،
ذوابلٍ ، وقْعُهنَّ الأرض تحليل (٢٤)
سُمْرِ العَجايات يتركْن الحصى زيماً
ولا يقيها رؤوس الأكم تنعيل (٢٥)

يوماً تظل حِدَابُ الأرض ترفعها ،
من اللوامع ، تخليط وتزييل (٢٦)

كأن أوب ذراعيها ، إذا عرِقت
وقد تلفَّع بالقور العساقيل (٢٧)

يوماً يظل به الحِرباء مضطخداً
كأن ضاحيه بالشمس مَمْلول (٢٨)

أَوْبُ بدا ناكلٌ سَمْطاءُ مُعْوِلةٌ
قامت تجاوبها سِمط مثاكيل (٢٩)

وقال للقوم حاديهم ، وقد جعلت
وُرْقُ الجنادب يركضن الحصى : قيلوا (٣٠)

شدَّ النهار ذراعا عيطل نَصَفٍ
قامت فجاوبها نُكْدُ مثاكيل (٣١)

نواحة رخوة الضبعين ، ليس لها
لما نعى بكرها ، الناعون ، معقول .(٣٢)

تفري اللَّبان بكفيها ، ومِدْرعُها
مشقق عن تراقيها ، رعابيل (٣٣)

يَسعى الوشاة بجنبيها ، وقولهمُ
إنك يا ابن أبي سُلمى لَمقتول (٣٤)

وقال كل خليل كنت آمله :
لا ألهينَّك ، إني عنك مشغول (٣٥)

فقلت خلوا سبيلي ، لا أبالكم
فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى ، وإن طالت سلامته ،
يوماً ، على آلة حدباء ، محمول

أنبئت أن رسول الله أوعدني ،
والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً! هداك الذي أعطاك نافلة الـ
ـقرآن فيه مواعيظ ، وتفصيل

لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولم
أُذنب ، وإن كثرت فيَّ الأقاويل

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
أرى وأسمع ، ما لو يسمع الفيل (٣٦)

لظل يَرعَد ، إلا أن يكون له

من النبي بإذن الله ، تنويل (٣٧)

مـا زلت اقتـطع البيـداء مُـدَّرعـاً

جَنْحُ الظلام وثـوبُ الليْل مُسْبُـولُ

حتى وضعت يميني لا أنازعه

في كف ذي نقِمات ، قيلهُ القيل (٣٨)

ولَهْوَ أهيبُ عندي ، إذ أكلّمه ،

وقيل : إنك منسوب ومسؤول

من ضيغم من ضِراء الأسد مَخْدَره

ببطن عُثَّرَ ، غيل دونه غيل (٣٩)

يغدو فيَلحَمُ ضرغامين عيشهما

لحم من القوم معفور خراديل (٤٠)

إذا يساور قِرناً لا يحل له

أن يترك القِرن إلا وهو مغلول (٤١)

منه تظل حمير الوحش ضامزة

ولا تمشّى بواديه الأراجيل (٤٢)

ولا يزال بواديه أخو ثقةٍ ،

مُطرَّح اللحم ، والدِّرسان مأكول (٤٣)

إن الرسول لنور يستضاء به ،

مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم :

ببطن مكة ، لما أسلموا : زولوا (٤٤)

زالوا فما زال أنكاس ولا كُشُف

عند اللقاء ، ولا ميل معازيل (٤٥)

شُمُّ العرانين ، أبطال ، لَبوسهُم

من نسج داود ، في الهيجاء ، سرابيل (٤٦)

بيض سوابغ ، قد شُكَّت لها حَلَقٌ

كأنها حَلَق القفعاء ، مجدول (٤٧)

لا يفرحون ، إذا نالت رماحهم ،

قوماً ، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

يمشون مشي الجمال الزهر ، يعصمهم

ضرب ، إذا عرّد السودُ التنابيل (٤٨)

لا يقطع الطعنُ إلا في نحورهم

وما لهم عن حياض الموت تهليل[1] (٤٩)

---

(١) ـ راجع جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص : ٢٨٢ . وشرح قصيدة بانت سعاد للتبريزي ـ البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٧٠ . المستدرك للحاكم النيسابوري ٣ : ٥٨٠. الروائع لفؤاد افرام البستاني رقم ٣٢ كعب بن زهير ص : ١٠٣ . الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ : ٢٧٤ . عيون الاثر في فنون المغازي والسير ٢ : ٢٦٩ . طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١ : ١٢٣ الروض الأنف للسهيلي ٤ : ١٥٩ ـ روائع الأدب د. محمد نبيه حجاب ص : ١٦ السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٠١

(البردة) للبوصيري
أو
الكواكب الدرية في مدح خير البرية

الغزل وشكوى الغرام :

أمِنْ تذكُّر جيران بذي سَلَمِ
مَزَجْتَ دمعاً جرى من مقلة بدمِ (٥٠)

أم هبت الريح من تِلقاء كاظمةٍ
وأوْمض البرق في الظلماء من إضمِ (٥١)

فما لعينيك إن قلت اكففا هَمَتَا
وما لقلبك إن قلت استفق يهمِ (٥٢)

أيحسب الصبُّ أن الحب مُنْكَتِمٌ
ما بين منسجم منه ومُضْطَرِمِ (٥٣)

لولا الهوى لم تُرِقْ دمْعاً على طلل
ولا أرِقت لذكِر البان والعلم (٥٤)

فكيف تنكر حباً بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع والسَّقم (٥٥)

وأثبت الوجد خَطّيْ عَبْرَةٍ وضنىً
مثل البَهَارِ على خدّيك والعَنَمِ (٥٦)

نعم سرى طيف من أهوى فأرَّقني
والحب يعترض اللذات بالألم (٥٧)

يا لائمي في الهوى العـذري معذرةً

منّي إليك ولو أنصفْتَ لم تَلُمِ (٥٨)

عدتْك حالي لاسرّي بمسْتترٍ

عن الوشاة ولا دائي بمنحسم (٥٩)

محضْتني النُّصْح لكن لست أسمعُهُ

إن المحب عن العُذَّالِ في صَمَمِ (٦٠)

إني اتهمْتُ نصيح الشيب في عَذَلٍ

والشيب أبعد في نُصْحٍ عن التّهم (٦١)

التحذير من هوى النفس

فإن أمّارتي بالسوء ما اتّعظت

من جهلها بنذير الشيب والهَرَمِ (٦٢)

ولا أعدّت من الفعل الجميل قِرى

ضيفٍ ألمّ برأسي غيرَ مُحْتَشِم (٦٣)

لو كنت أعلم أنّي ما أوقرُهُ

كتمتُ سراً بدا لي منه بالكَتَمِ (٦٤)

من لي بردّ جماح من غوايتها

كما يُردُّ جِمَاح الخيل باللجم (٦٥)

فلا تَرُمْ بالمعاصي كسر شهوتها

إن الطعام يقوّي شهوة النَّهم (٦٦)

والنفس كالطفل إن تُهْمِلْهُ شبَّ على

حُبِّ الرضاع وإن تفطمْهُ يَنْفَطِمِ

فاصرفْ هواها وحاذر أن تولّيه

إن الهوى ما تولى يُصْمِ أو يَصِم . (٦٧)

وراعِها وهي في الأعمال سائمة

وإنْ هي استحلّت المرعى فلا تُسِم (٦٨)

كم حَسَّنَتْ لذة للمرء قاتلة

من حيث لم يدر أن السُّم في الدَّسَم

واخش الدسائسَ من جوع ومن شبعٍ

فرُبَّ مَخْمَصَةٍ شرٌّ من التُّخَمِ (٦٩)

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت

من المحارم والزَمْ حِمْية الندم (٧٠)

وخالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتّهم

ولا تُطِعْ منهما خصماً ولا حكماً

فأنت تعرف كيد الخصم والحكم (٧١)

استغفر الله من قول بلا عمل

لقد نسبْت به نسلا لذي عُقُم (٧٢)،

أمرتُكَ الخير لكن ما ائتَمَرْت به

وما استقمت فما قولي لك استقِمِ (٧٣)

ولا تزوّدت قبل الموت نافلة

ولم أصل سوى فرض ولم أصُم (٧٤)

مدح النبي (ص)

ظلمت سُنَّة من احيا الظلام إلى

أن اشْتكت قدماه الضرَّ من وَرَم

وشد من سغَب أحشاءه وطوى

تحت الحجارة كَشْحاً مترف الأدَم (٧٥)

وراودته الجبال الشّمّ من ذهب

عن نفسه فأراها أيّما شَمَم (٧٦)

واكّدَت زهده فيها ضرورته

إنَّ الضرورة لا تعدو على العِصَمِ (٧٧)

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من

لولاه لم تخرج الدنيا من العَدَمِ

محمد سيد الكونين والثقلين

والفريقين من عُرْبٍ ومن عجم (٧٨)

نبينا الآمر الناهي فلا أحد

أبرَّ في قول لا منه ولا نعم

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته

لكل هول من الأهوال مقتحِم (٧٩)

دعا إلى الله فالمستمسكون به

مستمسكون بحبل غير مُنْفَصم (٨٠)

فاق النبيين في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ

ولم يُدانوهُ في عِلْمٍ ولا كَرَم

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفاً من البحر أو رشفاً من الدّيم (٨١)

وواقفون لديه عند حدّهم

من نقطة العِلْمِ أو من شَكْلَةِ الحِكَمِ (٨٢)

فهو الذي تَمَّ معناه وصورته

ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسَم (٨٣)

منزّه عن شريك في محاسنه

فجوهر الحسن فيه غير منقسم

دع ما ادَّعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم (٨٤)

وانسُب إلى ذاته ما شئت من شرف

وانسب إلى قدره ما شئت من عِظم

فإنَّ فضل رسول الله ليس له
حدّ فيُعْرِبُ عنه ناطق بفم

لو ناسَبَتْ قدْرَه آياتُه عظماً
أحيا اسمه حين يُدعى دارسَ الرِّممِ (٨٥)

لم يمتحنا بما تعيا العقول به
حِرْصاً علينا فلم نرتبْ ولم نَهِمِ (٨٦)

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى
للقرب والبعد فيه غيرُ منفحِم (٨٧)

كالشمس تظهر للعينين من بُعُد
صغيرة وتُكِلُّ الطَّرفَ من أَمَمِ (٨٨)

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
قومٌ نيام تسلّوا عنه بالحُلُم

فمبْلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم (٨٩)

وكل آيٍ أتى الرسل الكرام بها ،
فإنما اتصلت من نوره بهِمِ (٩٠)

فإنه شمس فضل هم كواكبها
يُظْهِرْنَ أنوارها للناس في الظلم

أكرم بخَلق نبي زانه خُلُقٌ

بالحسْن مُشْتَمِـلٌ بالبشْر متَّسِم (٩١)

كالزهر في ترفٍ والبدر في شرفٍ

والبحر في كرمٍ والدهر في هِمم (٩٢)

كأنَّه وهو فَرْدٌ ، من جلالته

في عَسْكَر حين تلقاه ، وفي حَشَم (٩٣)

كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف

من معدنَيْ مَنطِق منه ومبتسِم

لا طيبَ يعْدِل ترباً ضمَّ أعظمُه

طوبى لمنتشق منه وملتثِمِ (٩٤)

مولده (ص)

أبان مولده عن طيب عنصره

يا طيب مبتدأ منه ومختتم (٩٥)

يوم تفرَّس فيه الفرْسُ أنهم

قد أُنذروا بحلول البؤس والنِّقَمِ (٩٦)

وبات إيوان كسرى وهو منصدِع

كشَمل أصحاب كسرى غير ملتئِمِ (٩٧)

والنار خامدة الأنفاس من أسف

عليه والنهر ساهي العين من سَدَم (٩٨)

وساء ساوة أن غاضت بُحَيْـرَتُها

وَرُدَّ واردها بالغيظ حين ظمي (٩٩)

كأن بالنار ما بالماء من بلل

حزناً وبالماء ما بالنار من ضرَمِ (١٠٠)

والجن تهتف والأنوار ساطعة

والحق يَظهر من معنى ومن كَلِمِ

عمُوا وصَمّوا فاعلان البشائر لم

تُسمع وبارقة الانذار لم تُشَمِ (١٠١)

من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم

بأنَّ دينَهُمُ المعوج لم يَقُمِ

وبعدما عاينوا في الأفق من شُهُب

مُنْقضَّةٍ وَفْقَ ما في الأرض من صَنَم (١٠٢)

حتى غدا عن طريق الوحي منهزِم

من الشياطين يقفو إثر منهزم

كأنهم هربا أبطال أبرهة

أو عسكر بالحصى من راحتيه رُمِي (١٠٣)

نبذاً به بعد تسبيح ببطنهما

نبذ المسبّح من أحشاء ملتقم (١٠٤)

معجزاته (ص)

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

تمشي إليه على ساق بلا قدم

كأنما سَطَرتْ سَطراً لما كتبت

فروعُها في بديع الخط باللَّقَم (١٠٥)

مثلَ الغمامة أنّى سار سائرة

تقيه حر وطيسٍ للهجير حَمي (١٠٦)

أقسمت بالقمر المنشق أنَّ له

من قلبه نسبة مبرورة القَسَم (١٠٧)

وما حوى الغار من خير ومن كرم

وكل طرف من الكفار عنه عمي

فالصدق في الغار والصديق لم يَرِمَا

وهم يقولون مَا بالغار من أرِمِ (١٠٨)

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على

خير البرية لم تنسج ولم تَحُمِ (١٠٩)

وقاية الله أغنت عن مضاعفة

من الدروع وعن عالٍ من الأُطم (١١٠)

مَا سامني الدهر ضيْماً واستجرْت به

إلا ونلت جواراً منه لم يُضَمِ (١١١)

ولا التمسْت غنى الدارين من يده

إلا استلمت الندى من خير مستلمِ (١١٢)

لا تنكر الوحي من رؤياه إنَّ له

قلباً إذا نامت العينان لم يَنَم (١١٣)

وذاك حين بلوغ من نبوته

فليس ينكر فيه حالُ مُحْتَلمِ (١١٤)

تبارك الله ما وحْيٌ بمكْتَسَبٍ

ولا نبيٌّ على غيب بمُتَّهَمِ (١١٥)

كم أبرأتْ وصبا باللمس راحته

وأطلقت أرِباً من ربْقة اللمم (١١٦)

واحيت السّنة الشهباء دعوتُه

حتى حكت غرةً في الأعصر الدُّهُمِ (١١٧)

بعارض جاد أو خِلْت البطاح بها

سيْبٌ من اليَمّ أو سيل من العَرِم (١١٨)

شرف القرآن ومدحه

دعني ووصفي أياتٍ له ظهرت

ظهور نار القرى ليلاً على علم

فالدُّرّ يزداد حسنا وهو مُنْتَظِمٌ

وليس يَنْقُصُ قدراً غير منتظم

فما تطاول آمال المديح إلى

ما فيه من كرم الأخلاق والشيم (١١٩)

آيات حق من الرحمن مُحْدثةٌ

قديمة صفة الموصوف بالقدم (١٢٠)

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا

عن المعاد وعن عادٍ وعن إرم (١٢١)

دامت لدينا ففاقت كل معجزة

من النبيّين إذ جاءت ولم تدم

محكّمات فما يُبقين من شُبهٍ

لذي شقاق وما يبغين من حكم (١٢٢)

ما حوربت قط إلا عاد من حربٍ

أعدى الأعادي اليها ملقي السّلم (١٢٣)

ردّت بلاغتها دعوى مُعارضها

ردَّ الغيور يدَ الجاني عن الحُرَم (١٢٤)

لها معان كموج البحر في مدد

وفوق جوهره في الحُسْن والقيم (١٢٥)

فما تُعدّ ولا تحصى عجائبُها

ولا تُسامُ على الاكثار بالسأم (١٢٦)

قَرَّت بها عينُ قاريها فقلت له :

لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم (١٢٧)

إنْ تتلُها خيفة من حرِّ نار لظى

أطفأْت نار لظى من وِرْدِها الشَّبِمِ (١٢٨)

كأنها الحوض تبْيَضُّ الوجوه به

من العُصاة وقد جاؤوه كالحُمَمِ (١٢٩)

وكالصراط وكالميزان مَعْدِلَة

فالقسطُ من غيرها في الناس لم يَقم (١٣٠)

لا تعجبَنْ لحسود راح ينكِرُها

تجاهُلاً وهو عينُ الحاذِقِ الفَهِمِ (١٣١)

قد تنكر العين ضوءَ الشمس من رَمَدٍ

وينكر الفمُ طَعْم الماء من سَقَمِ

إسراؤه ومعراجه

يا خير من يَمَّم العافون ساحته

سعياً وفوق مُتُون الأينُقِ الرُّسُمِ (١٣٢)

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر

ومن هو النعمة العظمى لمغتَنِمِ

سَرَيْتَ من حرمٍ ليلاً إلى حَرَمِ

كما سرى البدر في داج من الظلم (١٣٣)

وبتَّ ترقى إلى أن نِلْت منزلة

من قاب قوسين لم تدْرك ولم تُرَمِ (١٣٤)

وقدَّمَتْكَ جميعُ الأنبياء بها

والرّسل تقديم مخدوم على خَدَمِ

وأنت تخترق السَّبع الطباق بهم

في موكب كنت فيه صاحب العلم (١٣٥)

حتى إذا لم تدع شأواً لمستبِق

من الدنوّ ولا مرقى لمستنِمِ (١٣٦)

خفضْتَ كل مقام بالاضافة إذ

نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

كيما تفوز بوصل أيٍّ مستَترٍ

عن العيون وسرّ أيّ مكتَتمِ

فحُزْت كل فخار غير مُشْتَرَك

وجُزْتَ كلَّ مَقَام غير مُزْدَحم (١٣٧)

وجل مقدارُ ما وليت من رُتَبٍ

وعز إدراكُ ما وليت من نِعَم (١٣٨)

بُشرى لنا مَعْشر الاسلام إنَّ لنا

من العناية ركناً غير منْهدم

لما دعا الله داعينا لطاعته

بأكرَم الرُّسْل كنا أكرم الأمم

جهاد النبي (ص)

راعت قلوب العدا أنبـاء بعثته

كنَبْأةٍ اجْفَلَت غُفُلاً من الغَنَم (١٣٩)

ما زال يلقاهم في كل معترك

حتى حكوْا بالقنا لحماً على وَضَمِ (١٤٠)

ودّوا الفِرار فكادوا يغبطون به

أشلاء شالتْ مع العقبان والرَّخم

تمضي الليالي ولا يدرون عِدَّتها

ما لم تكُن من ليالي الأشهُر الحُرُم

كأنما الدين ضيفٌ حلّ ساحتهُم

بكل قَرْمٍ إلى لحم العِدا قَرِم (١٤١)

يَجُرُّ بحر خميس فوق سابحةٍ

يرمي بموج من الأبطال ملتَطِم (١٤٢)

من كلّ منتدب لله محتسب

يسطو بمستأصل للكفر مصطلم (١٤٣)

حتى غدتْ مِلّة الاسلام وهي بهم

من بعد غربتها موصولـة الرَّحَم (١٤٤)

مكفولة أبداً منهم بخير أب

وخير بعل فلم تيْتَمْ ولم تئم (١٤٥)

هم الجبال فسلْ عنهم مصادمهم

ماذا رأى منهم في كل مصطدم (١٤٦)

وسل حنيناً وسل بدراً وسل أُحُداً

فُصول حَتْف لهم أدهى من الوخم (١٤٧)

المصْدِرِيّ البيض حمراً بعدما وردت

من العدا كل مسودّ من اللمم (١٤٨)

والكاتبين بسُمْر الخط ما تركت

أقلامهم حرف جسم غير مُنْعجم (١٤٩)

شاكي السلاح لهم سيما تميزهم

والورد يمتاز بالسِّيما من السَّلم (١٥٠)

تهدي إليك رياح النصر نشْرهمُ

فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي (١٥١)

كأنهم في ظهور الخيل نَبتُ رُبا

من شدة الحزْم لا من شدة الحُزُم (١٥٢)

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقاً

فما تفرق بين البهْم والبُهم (١٥٣)

ومن تكن برسول الله نصْرتُه

إن تلقه الأسد في آجامها تجِم (١٥٤)

ولن ترى من وليّ غير منتصر

به ولا من عدوّ غير منقصم (١٥٥)

احلّ أمته في حرْز ملّته

كالليث حلَّ مع الأشبال في أجَم ِ (١٥٦)

كم جدّلت كلمات الله من جدل

فيه وكم خصّم البرهان من خَصِم ِ (١٥٧)

كفاك بالعلم في الأميّ معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتُم (١٥٨)

في التوسل بالنبي (ص)

خدمْتُهُ بمديح أستقيلُ به

ذنوبَ عُمر مضى في الشِّعْر والخِدَم ِ (١٥٩)

إذ قلّداني ما تُخْشى عواقبه

كأنني بهما هدي من النّعَم (١٦٠)

أطعْت غيّ الصبا في الحالتين وما

حصّلت الا على الآثام والنَّدَم ِ (١٦١)

فيا خسارة نفس في تجارتها

لم تشترِ الدّين بالدنيا ولم تسُم (١٦٢)

ومـن يبـع آجلاً مـنـه بـعـاجـلة

يَبِنْ لـه الغَبَـنُ في بيـع وفي سَـلَـمِ (١٦٣)

إنْ آت ذنباً فما عهدي بمنتقضٍ

من النبي ولا حبلي بمنصرم (١٦٤)

فإنَّ لي ذمة منه بتسميتي

مُحَمَّداً وهو أوْفى الخلق بالذّمَمِ (١٦٥)

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي

فضلاً والا فقل يا زَلّة القَدَم (١٦٦)

حاشاه أن يَحْرُمَ الراجي مكارمَه

أو يُرْجع الجار منه غير مُحْتَرَمِ (١٦٧)

ومنذ الزمْت أفكاري مدائحَه

وجدتُه لخلاصي خيْر مُلْتَزِمِ (١٦٨)

ولن يفوت الغنى منه يداً تَرِبَتْ

إنَّ الحيا يُنْبتُ الأزهار في الأكم (١٦٩)

ولم أُرِدْ زهرة الدنيا التي اقتَطَفَتْ

يدا زهير بما أثنى على هَرَمِ (١٧٠)

يا أكرم الخلق ما لي مَنْ أُلُوذ به

سواك عند حلول الحادث العَمِمِ (١٧١)

ولن يضيق رسول الله جاهُكَ بي

إذا الكريم تحلّى باسم مُنْتَقم (١٧٢)

فإن في جودك الدنيا وَضَرَّتَها

ومنْ علومك علمَ اللّوح والقلم (١٧٣)

يا نفس لا تقنطي من زلّةٍ عظُمتْ

إن الكبائر في الغفران كاللَّمَمِ (١٧٤)

لعل رحمة ربي حين يقسِمها

تأتي على حَسَب العصيان في القِسَمِ (١٧٥)

يا ربّ واجْعلْ رجائي غيرَ منعَكِسٍ

لديك واجعل حسابي غيرَ مُنْخَرِمِ (١٧٦)

والطف بعبدك في الدارين إن له

صبراً متى تَدْعُهُ الأهوال يَنْهَزِمِ (١٧٧)

وأْذنْ لسُحْب صلاة منك دائمةٍ

على النبيّ بمُنَهَلّ ومُنْسَجِم (١٧٨)

ما رنّحتْ عذبات البان ريحُ صَباً

وأطْرب العيسَ حادي العيسِ بالنّغم[1] (١٧٩)

عارض القصيدة المباركة كل من :

(١) ـ شرح البردة للبوصيري : فتحي عثمان . بردة المديح . المدائح النبوية في الأدب العربي لزكي مبارك . الموازنة بين الشعراء لزكي مبارك

أبو بكر علي بن حجة الحموي المتوفي سنة ٨٣٧هـ

عائشة الباعونية المتوفاة عام ٩٣٠ هـ

جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ

محمود سامي البارودي

وأحمد شوقي .

ومعارضات أخرى لشعراء عديدين لا يتسع المجال لذكرهم .

* * *

شرح المفردات

١ ـ كعب بن زهير بن أبي سلمى : شاعر مخضرم

٢ ـ المتبول : الهائم . المكبول : المقيد

٣ ـ الأغن : الذي في صوته غنة ، وهي تخرج من اللهاة والأنف ، صفة للظبي محذوف غضيض الطرف : فاتر النظر .

٤ ـ العجزاء : الكبيرة المؤخرة .

٥ ـ العوارض : ما بعد الأنياب من الأسنان . الظَّلْم : ماء الأسنان .

٦ ـ شجت: مزجت . ذو الشبم : البارد . الأبطح : المسيل المتسع . المشمول : الذي ضربته ريح الشمال .

٧ ـ الصوب : المطر. أفرطه : ملأه . السارية : السحابة التي تمطر في الليل . البيض : لون . اليعاليل ، الواحد

يعلول : السحابة الطويلة .

٨ ـ الخلة بالضم : الصديقة وأراد بها سعاد .

٩ ـ سيط : خلط . الفجع : الإصابة بما يكره . الولع : الكذب .

١٠ ـ عرقوب : رجل من يثرب يضرب المثل بإخلافه الوعد .

١١ ـ العتاق : النوق العتاق ، أي الكريمة ، النجيبات : الواحدة نجيبة : الكريمة ، القوية . المراسيل : السهلة اليدين في السير .

١٢ ـ العذافرة : الصلبة القوية . الأين : التعب والاعياء . الأرقال : سير سريع . التبغيل : ضرب من السير يشبه سير البغال .

١٣ ـ نضاحة : سائلة . الذفرى : ما تحت أذن الناقة مما يلي الرقبة . عُرْضَتُها : أي اهتمامها ومقدرتها ، . طامس : مندرس ، مختف ، الاعلام الواحد علم : الاشارة على الطريق .

١٤ ـ المفرد : المنفرد . أراد به الثور الوحشي . لهق : شديد البياض . الحزان ، الواحد حزين : الغليظ من

الأرض . الميل : ما تراكم ومال من الرمل والواحد أميل .

١٥ ـ المقلد : موضع القدرة ، العنق . المقيد : موضع القيد الرسغ . بنات الفحل : النوق

١٦ ـ غلباء : غليظة الرقبة . وجناء : عظيمة الوجنتين . علكوم : ضخمة . مذكرة : تشبه الذكر . الرف : الجنب . قدامها ميل : طويلة العنق .

١٧ ـ الأطوام : قيل إنها سلحفاة بحرية وقيل سمكة غليظة الجلد . يؤيّسه : يؤثر فيه الطلح : القراد . ضاحية المتنين : ما برز للشمس من ظهرها .

١٨ ـ الحرف : الناقة الضامرة . مهجنة : كريمة . قوداء : طويلة العنق . شمليل : خفيفة

١٩ ـ القراد : دويبة تتعلق بالبعير وغيره وهي كالقمل للانسان . اللبان : الصدر . الأقراب : الخواصر الواحد قرب . الزهاليل الواحد زهلول : الملساء . الأملس

٢٠ ـ عيرانة : صلبة كالعير . النحض : اللحم المتكتل . العُرض : الجهة . الزَّوْر : الصدر

٢١ ـ فات : تقدم . الخطم : مقدم الأنف . البرطيل :

الحديدة الطويلة أو الحجر الطويل .

٢٢ ـ عسيب النخل : الجريدة ، شبه به ذنب الناقة .
الغارز : الضرع تخونه : تنقصه الأحاليل ، الواحد
إحليل : مخرج اللبن من الثدي .

٢٣ ـ قنواء : في أنفها حدب . حرتاها : أذناها .

٢٤ ـ اليسرات : القوائم . ذوابل : يابسة . تحليل : قليل

٢٥ ـ العَجايات : عصب قوائم الابل . زيماً : متفرقاً .
تنعيل : لا تحتاج إلى النعل ليقيها الخشونة في رؤوس
الأكم إذا سارت عليها .

٢٦ ـ حداب الأرض : ما أشرف وغلظ منها ، اللوامع :
السراب أو البرق .

٢٧ ـ أوب ذراعيها : رجع يديها وسرعة حركتها . تلفَّع :
إلْتحف . القور ، الواحدة قارة : كل موضع مرتفع .
العساقيل : السراب .

٢٨ ـ مصطخداً : منتصباً . الحرباء : دويبة تستقبل الشمس
وتدور معها في وقت الهاجرة في أعلى الشجر أو أعلى مكان
تكون فيه . ضاحيه : ما يضحى للشمس منه . مملول :
من قولهم مللت الخبزة في النار وأطعمنا خبز ملَّة

٢٩ ـ ناكل : الجبان ، الضعيف . سمطاء : بلا علامة .
مثاكيل : ثكالى

٣٠ ـ الورق : الواحد أورق : الأخضر الى السواد ولون الرماد . يركض : يضربن بقوائمهن قيلوا : استريحوا في القائلة : نصف النهار .

٣١ ـ شد النهار : وقت ارتفاعه . ذراعاً عيطل : العيطل المرأة الطويلة . النصف : المتوسطة في العمر . النُّكْدُ : الواحدة نكداء : التي لا يعيش لها ولد .

٣٢ . رخوة الضبعين : سريعة حركة الزندين .

٣٣ ـ تفري تشق . اللبان الصدر . مدرعها : قميصها . تراقيها : ج ترقوة عظام صدرها . رعابيل : الواحد رعبول ، قطعة متخرقة .

٣٤ ـ بجنبيها : الضمير للناقة.

٣٥ ـ خليل : صديق . آمله : أرجوه

٣٦ ـ يقول : إنه قام مقاماً هائلاً ، رأى وسمع فيه ما لو رآه الفيل لظل يرعد . وقد ذكر الفيل للتهويل .

٣٧ ـ تنويل : عفو وأمان

٣٨ ـ أنازعه : اجاذبه . قيله القيل : أي قوله الصادق ، الفصل .

٣٩ ـ الضراء : الواحد ضار . مخدرة : عرينه . عُثَّر : مكان في منطقة زبيد في اليمن . الغيل : الغيضة ، الأجمة .

٤٠ ـ يَلْحَم : يطعم لحماً . معفور : مطروح على التراب . الخراديل : القطع الصغيرة ، الواحدة خردلة .

٤١ ـ يساور : يواثب . القِرن : الذي يقاومك في بطش أو علم أو غير ذلك . مغلول : مكسور منهزم

٤٢ ـ ضامزة : ساكنة . الأراجيل : الواحد رجيل : الراجل خلاف الراكب .

٤٣ ـ الدِرسان : ج دَريس وهي خلقان الثياب مأكول : أي لحمه .

٤٤ ـ زولوا : اذهبوا ، إشارة إلى الهجرة .

٤٥ ـ أنكاس الواحد نكس : ضعيف . الكشف : الواحد أَكْشَف : من لا ترس معه . ميل : الواحد أميل : الذي لا يحسن الفروسية .

٤٦ ـ شم العرانين : كناية عن الأنفة وكبر النفس . والعرانين الواحد عرنين : طرف الأذن من نَسْج داود : أي دروع

والعرب تنسب نسجها إلى داود . السرابيل ، الواحد سربال : القميص ، الدرع .

٤٧ ـ القفصاء : نبات ينبسط على وجه الأرض له حلق كالخواتم شبه به حلق الدروع

٤٨ ـ عرّد : جَبُن . التنابيل : الواحد تنبال ، القصير . يعرض هنا ، على قول بعض الشراح بالأنصار ، لتحاملهم عليه يوم وفوده على النبي .

٤٩ ـ النحر : الصدر . التهليل ، من هلّل الرجل : نكص : جبن وهرب .

٥٠ ـ ذو سلم : جبل لطيء شرقي المدينة وقيل مكان بين مكة والمدينة .

٥١ ـ كاظمة : اسم موضع بالمدينة . أومض : لمع . إضم : جبل أو واد بالقرب من المدينة

٥٢ ـ همتا : سالتا بالدمع . استفق : ارجع إلى رشدك . يهم : حالة الجزم من يهيم أي يتمادى في الهيام وهو جنـون العشق .

٥٣ ـ الصبّ : العاشق . المنسجم : الدمع السائـل . المضطرم : المراد به الفؤاد الملتهب شوقاً

٥٤ ـ ترِق : حالة الجسم من تريق أي تسكب . الطلل : ما بقي من آثار الديار. أرقت: سهرت. البان: شجر طيب الريح وقيل مكان . العلم : مكان أيضاً قرب المدينة .

٥٥ ـ شاهد عدل : إنسان مرضى عنه من الجميع .

٥٦ ـ العبرة : البكاء وقيل الدمع . الضنى : الضعف والهزال . البهار : البياض الذي يكون في ليب الفرس . العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء .

٥٧ ـ طيف : خيال . أرقني : أقضَّ مضجعي

٥٨ ـ الهوى العذري : منسوب إلى قبيلة بني عذرة ، ويقصد الحب العفيف الذي يتغلب فيه صاحبه . بجمال المحبوبة النفسي والخلقي ، وشاع هذا النوع من الغزل في هذه القبيلة لأن نساءها كانوا في منتهى الجمال .

٥٩ ـ عَدَتْكَ : جاوزتك . مستترٌ : مغطى . المنحسم : المنقطع .

٦٠ ـ العذال : جمع عاذل وهو اللائم .

٦١ ـ أبعد : أنأى .

٦٢ ـ أمارتي بالسوء : يقصد الشاعر نفسه . نذير الشيب : الشعر الأبيض يظهر في الرأس الهرم : كبر السن .

٦٣ ـ قرى الضيف : اكرامه . محتشم : مستح .

٦٤ ـ أوقر : احترم . الكتم بفتح الكاف : نبات يؤخذ منه خضاب للشعر .

٦٥ ـ الجماح : الشرود . غـواية : ضـلالـة . اللجم ج لجام .

٦٦ ـ لا ترم : لا تقصد . النهم : الشره ، كثير الاكل .

٦٧ ـ توليه : تجعله واليا عليك . يُصْم : حالة الجزم من يصمي : تقيل . يصِّم : مضارع وصم : شان وعاب .

٦٨ ـ سائمة : راعية ، دابة . لا تسُم : لا تمكنها من الرعي .

٦٩ ـ الدسائس : الشبهة الخبيثة . مخمصة : جوع . التخم : امتلاء البطن .

٧٠ ـ المحارم ، المحرمات . حمية الندم : الاحتماء بالندم والتوبة .

٧١ ـ الخصم : العدو . الحكم : القاضي . كيد : مكر .

٧٢ ـ ذي عقم : من لا يولد له .

٧٣ ـ إستقم : كن مستقيماً .

٧٤ ـ أي ما ادخرت لنفسي أعمالاً صالحة قبل الموت .

٧٥ ـ السغب : الجوع . الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع . مترف : منعَم . الادم : الجلد

٧٦ ـ راودته : خادعته . الشم : العالية . الشمم . الاباء .

٧٧ ـ ضرورة : حاجة . العِصم بكسر العين: الحفظ : أي أن الحاجة والضرورة لا سبيل لهما على من عصمه الله وحفظه .

٧٨ ـ الثقلين : الأنس والجن .

٧٩ ـ مقتحم : مهجوم عليه ومتورط فيه .

٨٠ ـ منفصم : منقطع .

٨١ ـ رشف : مصَّ . الدِّيْمْ : ج ديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق .

٨٢ ـ الحِكم : ج حكمة : وضع الأشياء في مواضعها .

٨٣ ـ النسم : الأرواح

٨٤ ـ احتكم : تصرف في المدح كما تشاء .

٨٥ ـ الدارس : البالي . الرمم ، ج رمة وهي أجساد الموتى .

٨٦ ـ نرتب . حالة الجزم من نرتاب أي نشك . لم نَهِم : لم نخطىء ونَسْهُ

٨٧ ـ أعيا : أتعب وأعجز . منفحم : مغلوب بالحجة .

٨٨ ـ تكل : تتعب . من أمم : من قرب .

٨٩ ـ مبلغ العلم : غايته .

٩٠ ـ آي : جمع آية : معجزة .

٩١ ـ مشتمل : ملفوف ، محاط به . مُتَّسِم : مُعْلَم ، متصف

٩٢ ـ ترف : رقة . شرف : علو .

٩٣ ـ جلالته : عظم قدره . حشم : خَدَمْ

٩٤ ـ الطيب : كل ذي رائحة عطرة . يعدل : يساوي . منتشق : شامّ . لثم : قبَّل

٩٥ ـ عنصره : اصله

٩٦ ـ تفرّس : تعرف بالظن الصائب . البؤس : العذاب والخوف والشقاء .

٩٧ ـ الإيوان : بيت مستطيل . كسرى : ملك الفرس . منصدع : متشقق ـ ملتئم : مجتمع .

٩٨ ـ ساهي العين : ساكنها . سدم : غيظ وهمّ مع الأحزان .

٩٩ ـ ساوة : بلد من بلاد فارس بين الري وهمذان .

غاضت : جفّ ماؤها . ظمي : عطش

١٠٠ ـ ضرم : التهاب .

١٠١ ـ لم تشَمِ : لم تر ولم تنظر

١٠٢ ـ وَفْقَ : الموافق .

١٠٣ ـ أبرهة : كان ملكاً لليمن ، من قبل نجاشي الحبشة قبل البعثة أراد هدم الكعبة فأهلكه الله وجيشه بالطير الأبابيل وقصته مذكورة في القرآن في سورة الفيل .

١٠٤ ـ نبذاً به : رمياً به أي بالحصى . المسبّح : المراد به يونس عليه السلام .

١٠٥ ـ اللَّقم : وسط الطريق .

١٠٦ ـ الوطيس : التنور : الهجير : وسط النهار أيام القيظ .

١٠٧ ـ القسم : اليمين .

١٠٨ ـ لم يرِما : لم يبرحا . أَرِمْ على وزن كَتِفْ : العلم والأثر .

١٠٩ ـ تحم : تحوم

١١٠ ـ الأطم : الحصن . ج آطام .

١١١ ـ سامني : كلمني وحملني . ضيما : ظلما وقهرا . جوار : أمان

١١٢ . النادي : العطاء . مستلم : مكان الاستلام .

١١٣ ـ دراه : حامه بعلم .

١١٤ ـ محتلم : من يحلم .

١١٥ ـ محتسب : لا ينال بعمل الانسان . بمتّهم : بمظنون به الكذب .

١١٦ ـ أبرأت : شفت . وصبا : مريضا . أرب : محتاج . ربقة : قيد . اللمم : الخطايا

١١٧ ـ السنة الشهباء : المجدبة . غرة : بياض . الدهم : ج أدهم ، أسود

١١٨ ـ بعارض : سحاب ممطر . البطاح : ج ابطح ميل الماء . السيب : الجري اليم : البحر . العرم : الوادي .

١١٩ ـ المديح : الثناء . الشيم : ج شيمة : صفة حسنة

١٢٠ ـ محدثة : منزلة من الله . مخلوقة والقرآن كلام الله فقط .

١٢١ ـ إرمْ : والد عاد .

١٢٢ ـ محكمات : قاضيات . تبغين : تطلبين . الحكم : القاضي وتقدم شرحه .

١٢٣ ـ الحَرب : اشتداد الغضب .

١٢٤ ـ معارضها : المحاول الاتيان بمثلها . الحُرُم : ج حريم أهل الرجل .

١٢٥ ـ المدد : الارتفاع .

١٢٦ ـ لا تسام بالسأم : لا تقابل بالملّ والضجر لكثره تلاوتها .

١٢٧ ـ قرت : هدأت . حبل الله : الايمان بالله ورسوله ووصيه . إعتصم : احتمى

١٢٨ ـ لظى : إسم لجهنم . الشبم : البارد .

١٢٩ ـ الحُمم : ج حمه . كل ما احترق في النار .

١٣٠ ـ معدلة : استواء واستقامة .

١٣١ ـ الحاذق : الماهر العارف .

١٣٢ ـ يمم : قصد . العافون : طلاب الفضل والرزق . ساحته : ناحيته . متون : ج متن : الظهر . الأينُق : ج ناقة .

١٣٣ ـ سريت : سِرْت ليلاً .

١٣٤ ـ ترقى : تصعد . لم تُرَم : لا يستطيع أحد الوصول إليك .

١٣٥ ـ الطباق : المطابقة .

١٣٦ ـ شأو : غاية . المستبق : المباري .

١٣٧ ـ مزدحم : محتشد .

١٣٨ ـ عزّ : ندر : أوليت : أعطيت .

١٣٩ ـ راع : أخاف . نبأة : صوت . اجفل : شرد . غُفلاً : مهملة .

١٤٠ ـ معترك : ميدان . حكوا : اشبهوا . القنا : الرماح . الوضم : خشبة الجزار

١٤١ ـ القرْم : السيد الشجاع . القرِم : شدة الشهوة إلى اللحم .

١٤٢ ـ خميس : جيش .

١٤٣ ـ منتدب : مجيب . محتسب : مدخر أجره . يسطو : يصول ويثب . مستأصل : منتزع . مصطلم : قاطع للشيء من أصله .

١٤٤ ـ الرَّحم : القرابة .

١٤٥ ـ لم تيتم : لم تصر يتيمة . لم تئم : لم تصر أيّماً : أي فاقدة لبعلها .

١٤٦ ـ مصطدم : مكان الصدم .

١٤٧ ـ حنين وبدر وأحد : أسماء أماكن وقعت فيها بين المسلمين والمشركين وقائع مشهورة وقد أبلى فيه وصي رسول الله (ص) عليّ (ع) بلاء حسناً ومعظم الصحابة كانوا في ناحية الكفار . فصول : قطع من الأخبار . حتف : هلاك . الوخَم : الوباء وقيل داء يصيب الجسم

١٤٨ ـ البيض : السيوف . إصدارها : جذبها من أجساد الأعداء .

١٤٩ ـ الخط : من معانيه مرفأ قرب البحرين كانت تباع فيه الرماح فسميت لذلك الرماح الخطية . حرف الجسم : ناحية فيه . منعجم : منقوط مجاز للحرف . والجسم منقوط بطعنات الرمح وما يخرج من مكان الغرز من دم .

١٥٠ ـ شاكي السلاح : شاهريهم . السيما : العلاقة . السَّلَم : شجر

١٥١ ـ النشر : الرائحة . الأكمام : غطاء الزهر . الكمي : البطل .

١٥٢ ـ ربى ج ربوة ، أرض مرتفعة . الحَزْم : البت بالأمر والحُزُم : ج حزام ما يشد به وسط الفرس .

١٥٣ ـ بأس : شدة : فرقاً : خوفاً . البَهْم : الدويبة . البُهُم ج بهمة : الشجاع الذي يستبهم عليه الأمر .

١٥٤ ـ آجامها : غاباتها . تجم : تسكت ومنها الوجوم السكوت في ذهول .

١٥٥ ـ منقصم : من قصم ظهري : كسره وقطعه وشقه .

١٥٦ ـ حِرْز: حصن . ملَّة : دين . الليث : الضرغام أجَم : ج أجمة ، غابة

١٥٧ ـ جدّل : صَرَع. جدَلْ : نقاش .

١٥٨ ـ الأمي : النبي (ص)

١٥٩ ـ استقيل ؛ أطلب العفو. الخِدَم : ج خِدمة .

١٦٠ ـ قلداني : الزماني . النعم : الإبل والشاء . الهدي : الأضحية .

١٦١ ـ غيّ : ضلال . الصبا : الشباب . الآثام : الذنوب .

١٦٢ ـ تسم : تجادل للشراء .

١٦٣ ـ الغَبْن : الخديعة في البيع والشراء . السَّلم : البيع المؤجل الدفع

١٦٤ ـ بمنتقض : مملول . منصرم : منقطع

١٦٥ ـ الذمة : العهد .

١٦٦ ـ زلة : عثرة . إنزلاق للقدم .

١٦٧ ـ يحرم : يمنع . الجار : المستجير .

١٦٨ ـ ملتزم : متكفل .

١٦٩ ـ تربت : افتقرت . الحيا : الخجل .

١٧٠ ـ زهير : هو ابن سلمى أحد اصحاب المعلقات السبع أو العشر على قول .

١٧١ ـ ألوذ : ألتجىء . العمم : الشامل .

١٧٢ ـ تجلى : ظهر وهنا يظهر ثواب الله وعقابه لأن الله سبحانه لا يدرك بالأبصار والأوهام .

١٧٣ ـ ضرتها : عدوتها . والضَّرة معروفة . زوجة تأتي على زوجة اخرى .

١٧٤ ـ تقنط : تيأس . اللَّمم : صغار الذنوب .

١٧٥ ـ العصيان : التمرد وعدم العبادة .

١٧٦ ـ منعكس : مقلوب . منخرم : منقوص أو منقطع .

١٧٧ ـ الدارين : الدنيا والاخرة . الأهوال : الشدائد . ينهزم: يحسر ويهرب .

١٧٨ ـ المنهل : الماطل . المنسجم : الخفيف

١٧٩ ـ رنحت : أرسلت . عذبات : أغصان . صبا : ريح . العيس : الإبل . النغم : التطريب في الغناء .

القلقشندي صاحب (صبح الأعشى)
في مدح الرسول (ص)

عوّذْتُ حبي برب الناس والفَلق
المصطفى المجتبى الممدوح بالخُلُقِ
إخلاص من وجدي له والعُذْرُ يُقلقني
تبّت يدا عاذل قد جاء بـالْمَلَقِ
يُهدي لأمّته والنصـرُ يعضدُه
والكـافـرون وعُذّالي . عـلى نَسَقِ
هـدا له كـوثر والـدّين شْرعتُـه
والمصطفى من قريش ديّن وتقي
ألم تر الماء قد سحّت أصابعُه
ويل لكل جهول بالنبي وشقي
في كل عصْر ترى اياته كثرتْ
أضحى تكاثُرها في سائر الأفق
وعـد قارعـة فهو الشّفيـع لنـا
والعاديـات من الأجفان في طلَقِ

وزلزلت من غرامي كل جارحةٍ

وكـلٌّ بينـة تحكي لكم عِلقِي

يا عالي القدر رِفْقاً مسَّني ضَرَرٌ

فالله قد خَلَق الإنْسان من عَلَق

ولو دعا التين والزيتون جاء له

والشرحُ عنه طويل غـير مُختَلَقِ

يبدو كشمس الضحى والليل طُرَّتَهُ

كالشمس في بلد والفجر في أُفق

إني بغـاشيـة لـولاك يـا أمـلي

انت الشفيع إلى الأعلى وخير تقي

كم طارق منك بالإحسان يطرقني

مثلَ البروج أتى في أحسن الطرق

وفي انشقـاق فؤادي عَبْرَة وبـه

ويل من الصد والأجفان في أرق

والانـفـطار به ممـا يـكـابـده

والشمس قد كُوِّرت في القلب ذي الحرق

والصبُّ في عَبَسٍ والنازعات به

وقـد أتى نبأ من دمعـه الغَدِقِ

ومـرسلات دمِ الانسـان جاريـةٌ

إلى القيامة من دمعي ومن حِرَقي

وبـالمدثِّـر إني مـاسِـكٌ أبـداً
وبـالمـزّمـل إن أُلجِمْتُ بـالعَـرَقِ

فـالجن والإنس في خـير ببعثتـه
هذا ونوحٌ به أُنجي من الغَرَقِ

وفي المعارج معراج الرسول علا
حقـاً وفي حـاقّـةٍ كنـز لمختـرق

والله مـرسلُه في نـون بَشّـرَهُ
والمُلْك خيَّـره حتى رأى ولقـي

وجـاء بـالحِـلّ والتحـريم أمَّتـه
وبـالـطلاق من الـدنيـا لمنـطلق

وفي التَّغـابن تجَّارٌ بـه رَبِحـوا
إذ المنـافق في خُسْـرٍ وفي نفق

يا صاحبَ الجمعة الغَرّاء يا أملي
في الصف عند ا متحاني أنجو من زلقِ

وأنت في الحشر عوني في مجادلتي
عسى تزيل حديد النار من عُنقي

وعنـد واقعةٍ إن كـان لي رمق
فاشفع إلى ربك الرحمن من رمقي

لم أرعَ يا قمري للنجم في سهرٍ
إلّا لعلّك من نارِ الجحيم تقي

قلبي الكليمُ غدا للطور مرتقياً

وذُرُّ دمعي غدا بالذاريات سُقي

وقافُ يعجز عن حَمْلِ الغرام بكم

وليس في حُمُرات الدمع من رَمَق

إنا فتحنا قتالاً للعذول ففي

أحقاف جاثيةٍ في الغيظ والحَنَقِ

دخانُ زخرف ما لعذال فيه هبا

بشوراي تتركه في أَنْف محترق

وعِزٌّ من فُصِّلت في مَدْحِه سُوَرٌ

نبينا المصطفى الهادي إلى الطرق

فغافر الذنب كم أهدى به زُمَراً

وكم سقى كفُّه صادٌ بمندفق

وليس غيرك في الصَّافات أقصده

وأنت ياسين لي من سائر الفِرق

يا فاطراً قد سبا الأحزاب طلعتُه

كم سجدةٌ لك في الأسحار والغسق

لقمان يشهد أنَّ الروم تعرفه

والعنكبوت فقد سَدَّت عن الغلق

هذا ولي قصص بالنَّمل قد كُتِبَت

هامت بها الشعرَى في خدّها اليَقق

تبــارك الله من بــالنــور جمله

قـد أفلح الحجُّ لمـا زاره فوُقي

يـا أيها الأنبيـاء ! طه ختـامكمُ

ويا ابن مريم خذ من مِسْكِه العبق

لاذوا بكهف لهم سبحان خالقه

حتى أتى الأمر بعد الخوف والفَرق

فالركن والحجْر حقاً قد أضاء له

وذاك دعـوةُ ابراهيم ذي الخُلقِ

والله ربي بـربّ الرعـد ينصـره

مسير شهر بلا سيف ولا دِرَقِ

فيـوسف مع هـود والخليـل إذاً

ويونسٌ شربوا من كأسه الدِّهِق

لتـوبتي أرتجي الأنفال منـه غداً

فـإنني رجـل أضحيت في قلق

أعراف أنعام أنعام له اشتهرت

وكم لمـائـدة أسـدى لمرتـزق

كل النسا لم تلد مثل الرسول إذاً

فينا وفي آل عمران ولم تـطق

أُعطيت خاتمة من سورة البقـرة

لم يعطها أحد فيما مضى وبقي

فأنت فاتحة الانبا وخاتمهم
وكلهم أتوا بالوُدّ والمَلَق
والقلقشنديْ محبٌّ قال سيرته
في مدح خير الورى الممدوح بالخُلُق
فاقبل هدية عَبْدٍ أنت مالكُهُ
وانظر إليه فإن العبدَ في قلق
صلى عليه إله العرش ما طلعت
وَرْقا على فنن والوُرْق في الورَقِ[1]

(١) المدائح النبوية : هاشم الخطيب ص : ١٣٢ نقلاً عن نفح الطيب

خطبة الكفعمي في مدح سيد البرية

الحمد لله الذي شرَّف النبي العربي بالسبع المثاني ، وخواتيم البقرة من بني الأنام ، وفضَّل آل عمران على الرجال والنساء بما وهب لهم من مائدة الأنعام ، ومنحهم بأعراف الأنفال ، وكتب لهم براءة من الآثام . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي نجّى يونُس وهوداً و يوسفَ من قومهم برعْد الإنتقام ، وغذى إبراهيم في الحِجر بلعاب النحل ذات الإسراء ، فضاهى كهف مريم عليها السلام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هو طهِ الأنبيا ، وحجُّ المؤمنين ونورُ فرقان الملك العلاّم ، فالشعراء والنمل بفضله تخبرْ ولقصص العنكبوت الروم تذكرْ ، ولقمانُ في سجدته يشكرْ ، والأحزاب كأيادي سبا تُقْهَر ، وفاطر يس لصافاته ينصُر ، وصادُ مُقْلَة زُمَرِه تنظر الأعلام ، فآل حم بقتال فتحه في حُجُرات قافه قد ظهرتْ ، وذاريات طوره ، ونجمه وقمره قد عَطِرَتْ ، وبالرحمن واقعةُ حديده يوم المجادلة قد نُصِرَتْ ، وأبْصار

معانديه في الحشْر يوم الامتحان حُسِرَت ، وصفّ جمعته فائز إذ أجسادُ المنافقين بالتغابن استعرَتْ ، وله الطلاق والتحريم ، ومقام الملِكِ والقلم ، فناهيك به من مَقام ، وفي الحاقَّة أعلى الله له المعارج على نوح المتطهرْ ، وخصه من بين الانس والجن « بيا أيها المزمّل » و« يا أيّها المدَّثر » ، وشَفَّعَهُ في القيامة إذا دموع الانسان مرسلاتٌ كالماء المتفجّرْ ، ووجهه عند نبأ النازعات وقد عَبَسَ الوجه كالهلال المتنوّر ، ويوم التكوير والانفطار وهلاك المطففين ، وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير مُتَضَجّر ، وقد حُرِسَت لمولده السماء بالطارق الأعلــى ، وتمت غاشية العذاب إلى الفجر على المردة اللئام ، فهو البلد الأمين ، وشمس الليل والضحى المخصوص بانشراح الصَّـدر ، والمفضَّل بالتين والزيتون المستخرج من أمْشَاجِ العَلَقِ الـطاهر ، العـليّ القـدْر ، شجاع البرية يومَ الزلزال إذا عـادياتُ القارعة ، تدوس أهل التكاثر ومشركي العَصْرْ ، أهلك الله به الهُمَزَة ، وأصحاب الفيل ، إذ مكروا بقريش ولم يتواصوا بالحق ولم يتواصوا بالصَّبْرِ ، المخصوص بالدين الحنيفي ، والكوثر السَّلْسَال ، والمؤيّد على أهل الحِجْرِ بالنَّصْرِ ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تبّت يدا معاوية ونَعِمَ بالتوحيد مواليه ، وما أفصح فلَقُ الصّبْحِ بين النَّاسِ وامتدَّ الظلام[1] .

---

(١) ـ المدائح النبوية لهاشم الخطيب ص : ١٥١ نقلاً عن نفح الطيب

قصيدة حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني[1] والد بهاء الدين العاملي في مدح الرسول (ص)

أسِحْرُ بابلَ في جفنيك أم سَقَمِ
أمِ السِّيوفُ لقَتْل العُرْبِ والْعَجَمِ
والخال مركز دور للعَذار بدا
أم ذاك نضْحُ عِثَار الخط بالقلم
أم حبة وَضعتْ كيما تعيدُ بها
طير الفؤاد وقد صادَته فاحْتكِمِ
أنا الملوم وقلبي مولعٌ برشا
ساقٍ غدا قلبُه قاسٍ على الأمم
ذي أعين إن رنَتْ يوماً إلى أحدٍ
ألْبَسْنَه كل ما فيهن مِنْ سَقمِ
قلبي غضى وضلوعي منحنى وله
عقيق جفني بسفح ناب عن ديم

(١) راجع ترجمته في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ٢٦ : ٨١

وما سقاني رحيقاً بل حريق أسى

وكـان من أملي منـه شفا ألمي

أبكي فيبسم مني كالغمام متى

يبكي على زَهَرٍ في الروض مبتسِم

والشمس مـا طلعت الا لتنظرَه

وإنْ تَغِبْ فحياء خجلة الفَهِمِ

بكيت والشمل مجموع لخوف نوى

فكيف حالي وشمْلي غـيرُ ملتئم

وكلما مُتُّ هجراً عِشْتُ من أملي

فكم أموت وكم أحيا من العَدَم

دمع طليق وقلب في قيود هوى

والرشْدُ ضلَّ بذات الضَّال والسَّلم

وقد أقام قِـوام القدِّ لي حُجُباً

وبـالعَذار بـدا عُذري فـلا تلم

وَجْدي عليك ونفسي في يديك وذا

قلبي لديك فنل ما شئت واحتكم

أصغي الى العَذْل أجني ورد ذكرك بِمْـ

ما بين شوك ملام اللائم النهم

إلى متى كـل آن أنت في وَلَهٍ

يسمو وقلبٌ بنيران العذاب رُمي

فدع سعاد وسلمى واسعَ تحظ ففي
السهام سَهْمٌ مصيب فاستمع كِلمي
إن الحيـاة منـامٌ والمـآلُ بنـا
إلى انتبـاه وآت مثـل مُنْعَـدِم
ونحن في سَفَر نمضي إلى حُفَرٍ
فكـلُّ آنٍ لنا قـربٌ من العدم
والمـوت يشملنا والحشْـرُ يجمعنـا
وبالتقى الفخر لا بالمال والحَشَم
صن بالتعفف عز النفس مجتهداً
فالنفس أعلى من الدنيا لذي الهمم
واغضض عيونك عن عيب الأنام وكن
بعيب نفسك مشغولاً عن الأمم
فإن عيبَك تبـدو فيـه وصمتُـه
وانت في عيبهم خال عن الوصَم
جـازي المسيء بإحسـان لتملكه
وكن كعود يفوح الطيب في الضَّرَمِ
ومن تطلَّب خِلاً غيرَ ذي عوجٍ
يكن كطالب ماء من لظى الفَحَمِ
وقد سمعنا حكايات الصديق ولم
نَخلْه خيـالاً إلا كان في الحُلُم

إن الإقامة في أرضٍ تُضَام بها
والأرض واسعة ذل فلا تُقِمِ
ولا كمال بدار لا بقاء لها
فيا لها قِسْمَة من أعْدل القِسَمِ
دار حلاوتها للجاهلين بها
ومرها لذوي الألباب والهمم
أبغي الخلاص وما أخلصت في عمل
أرجو النجاة. وما ناجيت في الظلم
لكن لي شافعاً ذو العرش شفعه
أرجو الخلاص به من زلة القدم
محمدُ المصطفى الهادي المشفَّع في
يوم الجزاء وخيرُ الخلْق كلِّهم
لولا هُداهُ لكان الناس كلهمُ
كأحرف قالها معنى من الكِلم
لو لم يُرِدْ ذو المعالي جَعْلَهُ علماً
لم يوجد العالمُ الموجودُ من عدم
لو لم تطأ رجلُه فوق التراب لما
غدا طهوراً وتسهيلاً على الأمم
لو لم يكن سَجَدَ البدرُ المنيرُ له
ما أثَّر التُّربُ في خديه من قِدم

نصِرْت بالرُّعْب حتى كاد سيفك أنْ

يسطو بغير إنسلال في رقابهم

كفَاك فضلاً كمالاتٌ خَصصت بها

أخاك حتى دعوه بارىء النِسَم

خليفة الله خيرُ الخلق قاطبةً

بعد النبي وباب العِلْمِ والحكم

عِلْمُ الكتاب وعلم الغيب شيمته

وفي « سلوني » كشف الريب للْفَهمِ

والبيض في كفه سودٌ غوائلها

حمر غلائلها تدلى على القتم

بيض متى ركعت في كفه سَجَدت

لها رؤوس هوَتْ من قبل للصَّنَم

ولا الومهم أنْ يحسدوك وقد

علت نعالُك منهم فوق هامِهِم

مناقب أدهشت من ليس ذا نظر

واسمعت في الورى من كان ذا صَمَمِ

فضائل جاوزت حدَّ المديح علاً

فكل مدح شبيه الهجو للفَهم

سل عنه ذا فكرة وامدحه تلقى فتى

ملء المسامع والأفكار والكِلَم

واستخبرنْ خيبراً مَنْ فَرَّ أو أُحُداً

وفي حُنين تراه غيرَ مُنْهَزِمِ

من لم يكن بقسيم النار معتصماً

فما له من عذاب النار مِنْ عِصمِ

من لم يكن بِبَني الزهراء مقتدياً

فلا نصيب له في دين جَدِّهِمِ

اولادُ طه ونونٌ والضحى وكذا

في «هل أتى» قد أتى مخصوص مَدْحِهِم

قد شُرِّفَ الإنس إذ هم في عدادهمُ

كالأرض إذ شُرِّفَتْ بالبيت والحرم

فإن يشاركْهُمُ الأعداء في نَسَبٍ

فالتِّبرُ من حَجَرٍ والمسك بعض دَمِ

هم الولاة وهم سُفْنُ النجاةِ وهم

لنا الهُداة إلى الجنات والنّعمِ

نفوسهم أشرقت بالنور وانكشفت

لها حقائق ما يأتي من القدم

ومن سرى نحوهم أغناه نورُهم

عن الدليل ونجم الليل في الظلم

فضائل جَعَلت ليلَ الفخار ضحى

وأخجلت كل ذي فخر وذي شَيَم

قد زينوا كل نظم يوصفون به

كـما يـزين كـلام الله للكَلِمِ

عـذاب قلبي عَـذْبٌ في محبتهم

ومُرُّ ما مـرَّ بي حلوٌ لأجلهم

رجوتهم لعظيم الهول من قِدَمٍ

وهل يرجى سوى ذي الشأن والعِظَمِ

يا مظهرُ الملةِ العظمى وناصرُها

لأنت مَهْدِيُّها الهادي إلى اللقم

يـا وارث العلم يرويـه ويسنده

إلى جـدود تعـالَـوْا في عُلوِّهِمِ

مـاثر الفخر فيكم غـيرُ خـافيـةٍ

والشمس أكبر أنْ تخفى على الأمم

أَوْضَحْتُم للورى طُرْقَ الوصول كما

صيرتم العلم بين الناس كالعَلَمِ

مولاي طال المدى والله واندرست

معـالمُ العلم والإيمـان والكـرم

فاسحب سحائب خيل فوقها أسُدٌ

تسطو ونيلاً عمياً ساكبَ الدِّيَم

ولا تقل قلَّ انصاري فناصرك

الباري ومن ينصر الرحمن لم يُضَمِ

يفديك كل خبير من عُلاك وهم
كل البرية من عُرْبٍ ومن عَجَمِ
أقصرْ حسينُ فلن تحصي فضائلهم
لو أن في كل عضو منك الفَ فَمِ
عليهم صلواتٌ لا انتهاءَ لها
كمِثْلِ قَدْرِهُمُ العالي وعِلْمِهِم[1]

(١) ـ الكشكول لبهاء الدين العاملي طبع مصر ١ : ١٩٩

قصيدة صفي الدين الحلي
في مدح الرسول (ص)

حمدت لفضل ولادك النيران
وانشق من فرح بك الايوان

وتزلزل النادي وأوجس خيفة
من هول رؤياه أنو شروان

فتأول الرؤيا سطيح وبشرت
بظهورك الرهبان والكهان

وعليك إرميا وشعيا أثنيا
وهما وحزقيل لفضلك دانوا

بفضائل شهدت بهن الصحف
والتوراة والانجيل والفرقان

فوضعت لله المهيمن ساجدا
واستبشرت بظهورك الأكوان

متكملاً لم تنقطع لك سرة
شرفاً ولم يطلق عليك ختان

فرأت قصور الشام آمنة وقد

وضعتك لا تخفى لها أركان

وأتت حليمة وهي تنظر في ابنها

سراً تحار لوصفه الأذهان

وغدا ابن ذي يزن ببعثك مؤمناً

سراً ليشهد جدك الديان

شرح الإله الصدر منك لأربع

فرأى الملائك حولك الأخوان

وحييت في خمس بظل غمامة

لك في الهواجر جرمها صيوان

ومررت في سبع بدير فانحنى

منه الجدار واسلم المطران

وكذاك في خمس وعشرين انثى

نسطور منك وقلبه ملان

حتى كملت الأربعين واشرقت

شمس النبوة وانجلى البنيان

فرمت رجوم النيرات رجيمها

وتساقطت من خوفك الأوثان

والأرض فاحت بالسلام عليك

والأحجار والأشجار والكثبان

وأتت مفاتيح الكنوز بأسرها

فنهاك عنها الزهد والعرفان

ونظرت خلفك كالامام بخاتم

أضحى لديه الشك وهو عيان

وغدت لك الأرض البسيطة مسجداً

فالكل منها للصلاة مكان

ونصرت بالرعب الشديد على العدى

ولك الملائك في الوغى أعوان

وسعى إليك فتى سلام مسلماً

طوعاً وجاء مسلماً سلمان

وغدت تكلمك الأباعر والظبى

والضبّ والثعبان والسرحان

والجذع حَنَّ إلى علاك مسلماً

وببطن كفك سبح الصوان

وهوى إليك العذق ثم رددته

في نخلة تزهى به وتزان

والدوحتان وقد دعوت فأقبلا

حتى تلاقت منهما الأغصان

وشكا إليك الجيش من ظمأ به

فتفجرت بالماء منك بنان

ورددت عـين قتادة من بعـدمـا
ذهبت فلم ينـظر بهـا إنســان
وحكى ذراع الشاة مودع سمـه
حتى كـأن العضـو منـه لسـان
وعرجت في ظهر البراق فجاوز
السبع الطباق كما يشـا الرحمن
والبدر شق واشرقت شمس الضحى
بعـد الغروب ومـا بها نقصـان
وفضيلة شهـد الأنـام بحقهـا
لا يستـطيع جحـودهـا الانسـان
في الأرض ظل الله كنت ولم يلح
في الشمس ظلك إن حواك مكان
نسخت بمظهرك المظاهر بعـدما
نـسخـت بملة ديـنـك الأديـان
وعـلى نبـوتـك المعـظم قـدرهـا
قـام الدليـل واوضـح البـرهـان
وبكَ استغـاث الأنبيـاء جميعهم
عنـد الشـدايـد ربهم ليعـانـوا
أخـذ الاله لـك العهود عليهم
من قبل ما سمحت بك الأزمان

وبك استغاث الله آدم عندما

نسب الخلاف إليه والعصيان

وبك التجا نوح وقد ماجت به

دسر السفينة إذ طغى الطوفان

وبك اغتدى ايوب يسأل ربه

كشف البلاء فزالت الأحزان

وبك الخليل دعا الاله فلم يخف

نمرود إذ شبت له النيران

وبك اغتدى في السجن يوسف سائلاً

رب العباد وقلبه حيران

وبك الكليم غداة خاطب ربه

يرجو القبول فعمّه الإحسان

وبك المسيح دعا فأحيا ربُّه

ميتاً وقد بليت به الأكفان

وبك استبان الحق بعد خفائه

حتى أطاعك إنسها والجان

ولو انني وفيت وصفك حقه

فني الكلام وضاقت الأوزان

فعليك من رب السلام سلامه

والفضل والبركات والرضوان

وعلى صراط الحق آلك كلما

هب النسيم ومالت الأغصان

وعلى ابن عمك وارث العلم الذي

ذلت لسطوة بأسه الشجعان

واخيك في يوم الغدير وقد بدا

نور الهدى وتآخت الأقران

وعلى صحابتك الذين تتبعوا

طرق الهدى فهداهم الرحمان

وشروا بسعيهم الجنان وقد دروا

أن النفوس لبيعها أثمان

يا خاتم الرسل الكرام وفاتح النعم

الجسام ومن له الأحسان

أشكو إليك ذنوب نفس هفوها

طبع عليه ركب الانسان

فاشفع لعبد شأنه عصيانه

إن العبيد يشينها العصيان

فلك الشفاعة في محبكم إذا

نصب الصراط وعلق الميزان

فلقد تعرض للاجازة طامعاً

في أن يكون جزاؤه الغفران[1]

(١) ـ الغدير للاميني ٦ : ٣٩ .

قصيدة دعبل بن علي الخزاعي
في مدح الرسول وآله (ص)

تجاوبْن بالأرنان والزّفراتِ
نوايح عُجْمِ اللّفظ والنّطَقاتِ

يخبّرن بالأنفاس عن سر أنفسٍ
أسارى هوىً ماضٍ وآخر آت

فاسعدْن او اسْعفْن حتى تقوضت
صفوفُ الدّجى بالفجْر مُنْهَزِماتِ

على العرصات الخاليات من المها
سلامُ شجٍ صبٍّ على العَرصات

فعهدي بها خضْر المعاهِد مألفاً
من العطِرات البيضِ والخفِرات

ليالِي يعدّين الوصال على القلى
وبعدي تدانينا على الغَرَبات

إذ هنّ يلْحظْن العيون سَوافراً
ويسترْن بالأيدي على الوجنَات

وإذ كل يوم لي بلحظي نشوة
يبيت لهـا قلبي عـلى نشَـوَاتِ

فكم حسـرات هـاجهـا بمحسَّرٍ
وقوفي يوم الجمْـع مِنْ عَرَفـات

الم تـر للأيـام ما جَـرَّ جورُهـا
على الناس من نقصٍ وطول شِتاتِ

ومن دُوَل المستهزئين وَمَنْ غـدا
بهم طالباً للنور في الظلمات[1]

فكيف ومِنْ أنّى يـطالب زُلْفـةً
إلى الله بعد الصَّوْمِ والصلوات

سوى حبّ أبناء النبي ورهـطه
وبُغض بني الزرقاء والعبلات[2]

وهنـدٌ ومـا أدّت سميـةٌ وابنهـا
أولو الكُفْر في الاسلام والفَجَرات[3]

---

(١) ـ المستهزىء : المتهتك الذي لا يبالي وفي رواية المستهترين

(٢) ـ الزرقاء : أم مروان ابن الحكم ، وكان يقال لها ايضاً ، ام حبل الزرقاء ، وكان مروان يعير بها باعتبارها من ذوات الرايات ! (البحري ١١٩) والعبلة ـ بفتح الشين ـ أم قبيلة من قريش يقال لها (العبلات) وهم : امية الصغرى

(٣) ـ هند : أم معاوية بن ابي سفيان تعرف بـ(آكلة الأكباد) فإنه عند استشهاد حمزة بن عبد المطلب يوم أحد بقرت بطنه ولاكت كبده وقطعتها كما مثلت بشهداء المسلمين . (تاريخ ابي الفدا ١٣٢/١)

همُ نقضوا عهْدَ الكتاب وفَرْضَهُ

ومُحكَمَـهُ بـالـزّور والشّبُهـاتِ

ولم تـكُ إلا مِحْنـةٌ كشَفتْهُمُ

بِدَعْوى ضلالٍ من هَنٍ وهناتِ

تُراثٌ بلا قُربى وهَلْكٌ بلا هُدى

وحُكْمٌ بـلا شورى بغـير هُـداةِ

رزايـا أرَتْنا خُضـرةَ الأفق حُمرةً

وردت أُجَاجاً طَعْمَ كـل فُرات

وما سَهَّلت تلك المذاهب فيهمُ

على الناس إلّا بَيْعَـةَ الفَلَتَات[1]

وما نال أصحابُ السَّقيفة إمـرةً

بدعوى تُراثٍ ، بل بأمْرِ تراتِ

وَلوْ قلدوا المـوصى اليه زِمَامَها

لـزُمَّت بمـأمـون مِنَ العثراتِ

وسمية أم زياد بن أبيه . قيل إنها من أهل (زندورد) . كانت بغياً في الطائف وكانت أمة للحارث بن كلة فأولدها زياداً ، أوقع عليها أبو سفيان في حال السكر فجاءت بزياد أو غير ذلك (الاخبار الطوال ٢١٩ ، المعارف ١٢٥)

(١) - « . . . كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ». قول مشهور لعمر بن الخطاب (رض)

أخا خاتَمَ الرُّسْلِ المصَفّى من القَذَى

ومفترسَ الابطال في الغمَرات

فإن جحدوا كان الغدير شهيده

وبَدْرٌ وأحدٌ شامخ الهضبات

وآي من القرآن تُتْلى بفضله

وإيثاره بالقوتِ في اللّزَبَات

وغر خِلالٍ، أدركتها بسَبْقها

مناقبُ كانت فيه مُؤْتَنِفَاتِ

مناقب لم تُدْرَك بكَيْد ولم تُنل

بشيءٍ سوى حَدّ القنا الذَّربات

نجيٌّ لجبريل الأمين، وانتمُ

عُكوفٌ على العُزَّى معاً ومناة[1]

بكيْتُ لرَسم الدارِ مِنْ عَرَفاتِ

وأذْبَلْتُ دَمْعَ العين بالعَبَرات

وفَكَّ عُرَى صبري وهاجتْ صبابتي

رسومُ ديارٍ أقفَرتْ وَعِرات

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاوةٍ

ومنزلُ وَحْيَ مقْفِرُ العَرَصات

(١) ـ العزّى : صنم . ومناة بفتح الميم : صنم أيضاً

لآل رسول الله بالخيف من منى
وبالرُّكْنِ والتعريف والجَمَرات

ديارٌ لعبْد الله بالخيف مِنْ منى
وللسيِّد الدّاعي إلى الصَّلوات

ديارُ عليٍ والحسين وجعْفرٍ
وحمزة والسجادِ ذي الثفنَات

ديارٌ لعبد الله والفضل صنوُه
نجيِّ رسول الله في الخلوات

وسِبْطيِّ رسول الله وابنيّ وصيِّه
ووارث علم الله والحَسَنات

منازلُ وحي الله ينزلُ بينها
على أحمد المذكور في السُّورات

منازلُ قوم يهتدى بهداهم
فتؤمَنُ منهم زلةُ العثرات

منازلُ كانت للصَّلاة وللتقى
وللصَّوم والتَّطهير والحَسَنات

منازلُ جبريل الامين يحُلُّها
من الله بالتسليم والرَّحمات

منازلُ وحي الله معدِنِ علمهِ
سبيل رشادٍ واضح الطّرقات
ديارٌ عفاها جورُ كلِّ مُنَابِذٍ
ولم تَعْفُ للأيام والسَّنواتِ
فيا وارثي عِلْم النبيِّ وآلهِ
عليكم سلامٌ دائمُ النَّفحات
قفا نسأل الدارَ التي خفَّ أهلُها
متى عَهْدُها بالصَّوم والصَّلوات ؟
وأيْنَ إلالى شطَّت بهم غَرْبَةُ النّوى
أفانينَ في الآفاقِ مفترقات ؟
همُ أهلُ ميراث النبي إذا اعتزّوا
وهم خيرُ ساداتٍ وخيرُ حُماةِ
إذا لم نناجِ الله في صلواتنا
بأسمائهم لم يَقْبَلِ الصلوات
مطاعيمُ في الإعْسارِ في كل مشهدٍ
لقد شرُفُوا بالفضل والبركات
وما الناس إلا غاصبٌ ومكذبٌ
ومضطغنٌ ذو إحْنةٍ وتِرات
إذا ذكروا قتلى ببَدْرٍ وَخَيْبَرٍ
ويَوْمَ حُنَيْنٍ أسْبَلوا العَبَرات

فكيف يحبّون النبيَّ ورهطَهُ
وهُمْ تركوا احشاءهم وغَرَات

لقد لاينوهُ في المقالِ واضمَرُوا
قلوباً على الأحقادِ مُنطَويات

فإنْ لم تكُنْ الا بقربى مُحَمَّدٍ
فهاشمُ أوْلى هَنٍ وهنات

سقى الله قبراً بالمدينة غيثَهُ
فقد حلَّ فيه الأمنُ بالبركات

نبيُّ الهدى صلى عليه مليكُهُ
وبلَّغ عنا روحَهُ التُّحفَاتِ

وصلى عليه الله ما ذرّ شارقٌ
ولاحتْ نجوم الليل مُبْتَدِرَات

افاطمُ لو خلْت الحسينَ مُجَدَّلاً
وقد مات عطشاناً بِشَطِّ فُراتِ

إذنْ للطمت الخدُّ فاطمُ! عنده
وأجريت دَمْعَ العين في الوجنات

أفاطمُ قومي يا ابنة الخير واندبي
نجومَ سماواتٍ بأرضِ فلاةِ

قبور بكوفانٍ وأخرى بطيبة
وأخرى بفخٍّ نالها صلواتي

وأخرى بأرض الجوزجان محلها

وقبرٌ بباخمرى لدى الغَرَبات

وقبر ببغدادٍ لنفسٍ زكيةٍ

تضمنها الرَّحمن في الغُرُفات

« وقبر بطوسٍ يا لها من مصيبةٍ

الحَّتْ على الأحشاءِ بالزَّفرات

إلى الحشْر حتى يبعثَ الله قائماً

يُفَرِّجُ عنَّا الغمَّ والكَرَبات

علي بن موسى أرشدَّ الله أمرَه

وصلى عليه أفضلَ الصلوات »

فأمّا المِضّات التي لسْتُ بالغاً

مبالغَها مِني بكُنهِ صِفَات

قبورٌ بجنب النهر من أرض كربلا

مُعَرَّسُهُمْ فيها بِشَطِّ فُرَاتِ

تُوفّوا عِطاشاً بالفُرات فليتني

تُوفّيت فيهم قبل حين وفاتي

إلى الله أشكو لوعةً عند ذكرهم

سقتني بكأس الثكل والفظعات

أخَافُ بأَنْ أَزْدَارَهم فيشوقني

مَصَارعُهم بالجزْع فالنَّخَلاتِ

تقسّمهُمْ ريْبُ المنونِ فما ترى

لهم عقوةً مغشيةَ الحجُرات

خلا أن منهم بالمدينة عصبةً

- مدى الدهر - أنضاءً من اللّزباتِ

قليلةُ زوارِ سوى بعض زُوَّرٍ

من الضبع والعقبان والرَّخَمات

لهم كل حين نَوْمَةٌ بمضاجع

ثوت في نواحي الأرض مُخْتَلِفاتِ

وقد كان منهم بالحجاز وأرضِها

مغاويرُ يُختارون في السَّرَوَات

تنكَّبُ لأواءُ السنين جوارَهم

فلا تصطليهم جمرةُ الجَمَرات

حمى لم تزرْهُ المذنبات وأوجهٌ

تضيءُ لدى الأستارِ في الظلمات

إذا أوردوا خيلاً تسعَّرُ بالقنا

مساعرُ جمْرِ الموتِ والغمَرات

وإنّ فخروا يوماً أتوْا بمحمَّدٍ

وجبريلَ والفرقان ذي السُّورات

وعدّوا علياً ذا المناقب والعلى

وفاطمةُ الزهراء خير بنات

وحمزةَ والعباسَ ذا الهدْي والتقى
وجعفراً الطيار في الحجبات
اولئك ، لا أشياخُ هندٍ وتربُها
سمية منْ نوْكى ومن قذرات
ستُسْألُ تيْمٌ عنهمُ وعديُّها
وبيْعتُهُم من أفجر الفجرات
همُ منعوا الآباء عن أخذِ حقّهمْ
وهم تركوا الابناء رهن شتات
وهم عدّلوها عن وصي محمّد
فبيعتُهم جاءت على الغدرات
وليهم صنو النبي محمدُ
ابوالحسن الفرّاج للغمرات
سلامك في آل النبي فإنّهم
أحباتيّ ما داموا ، وأهل ثقاتي
تخيّرتُهُم رُشداً لنفسي إنهم
على كل حال خيرةُ الخيرات
نبذْتُ إليهم بالمودَّة صادقاً
وسلّمت نفسي طائعاً لولاتي
فيا رب زدني في هواي بصيرة
وزد حبَّهم يا ربُّ ! في حسناتي

سأبكيهم ما حج لله راكبٌ
وما ناح قمريٌّ على الشجَرات
بنفسي أنتم من كهولٍ وفِتْيَةٍ
لفك عناةٍ أو لحمل دياتِ
وللخيل لما قيّد الموتُ خطوَها
فأطلقتم منهُنَّ بالذرَبات
أحب قصيّ الرَّحم من أجل حبكم
وأهجر فيكم أُسرتي وبناتي
واكتم حبّيكم مخافة كاشحٍ
عنيد لأهل الحق غير موات
فيا عينُ بكّيهم وجودي بعبرة
فقد آن للتسكاب والهمَلات
إني لمولاهم وقالِ عدوهم
وإني لمحزون بطول حياتي
لقد حفَّت الأيام حولي بِشرّها
وإني لأرْجو الأَمنَ بعد وفاتي
أَلَمْ تَرَ أني من ثلاثين حِجَّةٍ
أروحُ وأغدو دائمَ الحَسَرات
أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً
وأيديهم مِنْ فيئهم صفرات

فكيف أداوي من جوى بي والجوى
أميّةُ أهلُ الفسّق والتبعات

بنات زياد في القصور مصونةٌ
وآلُ رسول الله في الفلوات

سأبكيهم ما ذرّ في الأرض شارقٌ
ونادى منادي الخير بالصلوات

وما طلعت شمس وحان غروبُها
وبالليل أبكيهمّ وبالغدوات

ديارُ رسول الله أصْبحْن بلقعاً
وآلُ زياد تسكنُ الحُجرات

وآلُ رسول الله تدمى نحورُهم
وآل زياد امنوا السّربات

وآلُ رسول الله تُسبى حريمُهم
وآل زياد ربّة الحجلات

وآلُ رسول الله نُحْفٌ جُسومهم
وآلُ زياد غلظُ القصرات

إذا وتروا مدُّوا إلى واتريهمْ
أكُفّاً عن الأوتار منقبضات

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ
تقطّع نفسي إثرهم حسرات

خروجُ إمام لا محالةَ خارجُ

يقوم على اسْمِ الله والبركات

يميز فينا كل حقٍ وباطل

ويُجزي على النعماء والنقمات

فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري

فغير بعيد كل ما هو آتِ

ولا تجزعي من مدة الجوْر إنني

أرى قوتي قد آذنت بشَتات

فيا ربِّ عجِّلْ ما أؤملْ فيهم

لأشفيَ نفسي مِنْ أسى المحنات

فإن قرَّب الرحمن من تلك مدتي

وأخر من عمري بطول حياتي

شفيت ولم أترك لنفسي رزية

ورويتُ منهم منصلي وقناتي

فإني من الرَّحمن أرْجو بِحُبِّهِمْ

حياةً لدى الفردوس غير بتات

عسى الله أن يأْوي لِذا الخِلقِ إنَّه

إلى كل قوم دائمُ اللحظات

فإن قلت عُرْفاً انكروه بمُنْكَرٍ

وغطوا على التحقيق بالشُبُهَات

سأقصُر نفسي جاهداً عن جدالهم
كفاني ما ألقى من العَبَرات
أحاول نقل الصم عن مستقرها
وإسماع أحجار من الصَّلدات
فمن عارف لم ينتفعْ ومعاندٍ
يميل معَ الأهواء والشَّهوَات
فحسبي منهم أنْ أبوءَ بغصَّةٍ
تردّدُ في صدري وفي لهَوَاتي
كأنك بالاضلاع قد ضاق ذرعُها
لما حُمِّلَتْ من شِدةِ الزَّفراتِ

تجد القصيدة لدعبل الخزاعي باختلافات يسيرة في :
ديوان دعبل بن علي الخزاعي جمع وتحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي ص : ١٢٤ . مسند الامام الرضا جمع الشيخ الخبو شاني ١ :١٨٦ اعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ٣٠ : ١٢٢ . كشف الغمة للاربلي ٣ :١٠٨ معجم الأدباء لياقوت ١١: ١٠٣ .

ويمكن مراجعة المصادر التالية :
كشكول البحراني
واخبار شعراء الشيعة للمرزباني ومعجم الشعراء له أيضاً

وبحار الأنوار للمجلسي المجلد ١٢

وعيون اخبار الرضا

ومقتل الخوارزمي

وروضة الواعظين للنيسابوري

والفصول المهمة للحر العاملي وابن الصباغ المالكي أيضاً

والوافي بالوفيات للصفدي

لو توفرت لدي هذه المصادر حالياً لكنت عينت لك مواطن تواجدها فيها وسهلت لك مراجعة المعلومات الوافية عنها . ولكن . . . !

أرى فَيْئَهُم في غيرهم متقسماً
وأيديهم من فَيْئهم صَفِراتِ !

« دعبل »

خـاتمـة

بعد كل ما تقدم ، وبعد تبيان الهدف الحقيقي من الاسراء والمعراج ، ومن ضمنه أنه عرج بجسمه وروحه ، ولم يكن مناما أو رؤيا . أرى أنني لم أغدر بنفسي لأنتكس إلى جو اللاة «العزى ، والجو المادي ، وظلمة الجدل وزيغ المماراة في الدين ، كما يقول الذين يحسبون أنهم أحسنوا صنعاً وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون . . . والصلاة والسلام على محمد نبينا واله الطيبين الطاهرين وأصحابه الذين تبعوه بإخلاص إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ولا تكتب بخـطك غـير شيء
يسـرك في القيـامـة أن تـراه !!

المصادر والمراجع

القران الكريم

حضارة العرب ـ غوستاف لوبون : ترجمة عادل زعيتر

الاسلام منهج حياة ـ فيليب حتي : ترجمة عمر فروخ

حياة محمد ـ واشنجتون إرفنج : ترجمة علي الخربوطلي

الاسراء والمعراج : ابن عباس

الإسراء والمعراج : عبد الحليم محمود

الإسراء والمعراج : هادي المدرسي

مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار : عبد الله شُبّر ١/٢ .

مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي ١٠/٥

الخصائص الكبرى : للسيوطي ١/٢

البداية والنهاية : ابن كثير ١٤/٧

النبوة والأنبياء : الصابوني

قصص الأنبياء : الجزائري

الكافي : للكليني ٨/١ .
الأنبياء : حياتهم وقصصهم : عبد الصاحب العاملي
قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس : للثعالبي
التبيان (تفسير) ـ للطوسي ١٠/١
الجواهر السنية في الأحاديث القدسية : محمد بن حسين الحر العاملي
السيرة الحلبية : ٣/١
المدائح النبوية : زكي مبارك
معجم البلدان : ياقوت الحموي ٥/١
طبقات ابن سعد ٩/١
علل الشرائع : الصدوق
امالي الشيخ الصدوق
حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢/١
الكامل : ابن الأثير ١٣/١
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : الديار بكري ٢/١
مشارق انوار اليقين : البرسي
حياة محمد : محمد حسين هيكل الطبعة الاولى
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات : للقزويني
من لا يحضره الفقيه ٤/١

كتاب المحاسن : للبرقي
فضل الكوفة وأهلها : محمد الحسين الكوفي
عمدة الزائر
مفاتيح الجنان المعرب : للقمي
السيرة الدحلانية على هامش السيرة الحلبية : زيني دحلان
فضائل القدس : ابن الجوزي
معاني الاخبار: للصدوق
فرائد السمطين : للجويني الشافعي ٢/١ بتحقيق المحمودي
المناقب : اخطب خوارزم
ارشاد القلوب : للديلمي
ينابيع المودة : للقندوزي
ترجمة امير المؤمنين علي بن أبي طالب من كتاب ابن عساكر ٣/١
الصراط المستقيم للبياضي العاملي مجلد ٢ و٣
الاحتجاج : الطبرسي ٢/١
لسان العرب : ابن منظور ٤/١
فضائل الخمسة من الصحاح الستة : الفيروز آبادي ٣/١
الصواعق المحرقة : ابن حجر العسقلاني

نور الأبصار : الشبلنجي
نهاية البداية والنهاية : لابن كثير ٢/١
ذخائر العقبى : محب الدين الطبرسي
الفضائل : ابن شاذان القمي
الغدير للاميني ١١/١
كشف الغمة في معرفة الأئمة : الاربلي ٣/١
خديجة بنت خويلد : علي دخيل
المستدرك للحاكم النيسابوري ٤/١
جمهرة اشعار العرب : ابو زيد القرشي
شرح قصيدة بانت سعاد : التبريزي
الموازنة بين الشعراء : زكي مبارك
المدائح النبوية : هاشم الخطيب
ديوان صفي الدين الحلي
كلمة الله : السيد الشيرازي
شرح البردة للبوصيري ونهج البردة لشوقي لفتحي عثمان
الروض الأنف للسهيلي ٢/٤
عيون الأثر في فنون المغازي والسير ٢/١ لابن سيد الناس
طبقات الشافعية الكبرى للسبكي المجلد الأول
أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين المجلد ٣٠

مسند الامام الرضا جمع الخبوشاني المجلد الأول
معجم الأدباء لياقوت ١٠/٢٠
ديوان دعبل الخزاعي جمع الدجيلي
الأحكام السلطانية للماوردي

الفهرس

الفصل الخامس

الفصل السادس

